

**منظومة التعليم القرآني في الجزائر
الواقع ، التحديات ، وآليات التفعيل**

الأستاذ الدكتور:
اجقو علي (Prof. Dr. AJGOU Ali)

الأستاذة:
دريدي وفاء (Prof. DRIDI Wafa)



السيرة الذاتية

الاسم واللقب: اجقو علي.

مكان وتاريخ الميلاد: ١٨/١٢/١٩٥٦م كيمل.

المؤهل العلمي: دكتوراه.

مكان الحصول عليه وتاريخه: جامعة بروفانس بفرنسا ١٩٩٠م.

الدرجة العلمية: أستاذ Prof. Dr.

التخصص العلمي العام: التاريخ المعاصر.

التخصص العلمي الدقيق: تاريخ الجزائر الثقافي.

العمل الحالي: أستاذ ورئيس اللجنة العلمية بقسم العلوم الإنسانية بجامعة بسكرة.

* الإنتاج العلمي:

* الكتب:

١ - المغرب الأوسط من مجتمع القبيلة إلى مجتمع الدولة الأمة، ط.٤، دار قانة للطباعة والنشر، الجزائر ٢٠٠٨م.

٢ - النظام العدلي الجزائري، ط.٤، دار قانة لطباعة والنشر، الجزائر ٢٠٠٨م.

٣ - ثورة التحرير الوطني: مبادئ وأخلاق، ط١، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ٢٠٠٦م.

* البحوث:

١ - «الوزير السلجوقي نظام الملك صاحب تجربة المدارس النظامية»، مجلة آفاق الثقافة والتراث، دبي، عدد ٧٤، ٢٠١١م.

٢ - «جزيرة العرب مهد أول إعلان لحقوق الإنسان»، مجلة الفيصل، الرياض، العدد ٣٧٥ - ٣٧٦، ٢٠٠٧/١٤٢٨.

٣ - «ريادة الحضارة العربية الإسلامية في ميدان الترجمة تأسيسًا وتنظيرًا»، مجلة التاريخ العربي، الرباط، عدد ٣٧، ٢٠٠٦م.

* المشاركة في المؤتمرات الندوات:

١ - «سبق الإسلام في ضمان الحريات الأساسية»، المؤتمر الدولي مقومات السلم الاجتماعي، قراءة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر، جامعة صلاح الدين - أربيل كردستان العراق ١ - ٣ أربيل ٢٠١٤م.

٢ - «الحوار مع الآخر ضرورة أم ترف»، المؤتمر الدولي الحوار وأثره في الدفاع عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٧ - ٨ صفر ١٤٣٥هـ / ١٠ - ١١ ديسمبر ٢٠١٣م.

٣ - المؤسسات التعليمية المتخصصة في العهد السلجوقي خلال القرن الخامس الهجري - المدارس النظامية الشافعية نموذجًا -، الندوة الدولية الثانية للحضارة والثقافة السلجوقية، العلم والفكر في العصر السلجوقي، قونيا - تركيا، ١٩ - ٢٢ أكتوبر ٢٠١١م.

* العنوان:

* البريد: ص.ب رقم ٧٤ (د)، بريد ح.ل باتنة - الجزائر.

* الهاتف: ٠٢١٣٥٥٣١٨٤١٦٨

* الإيميل: pr.ajgou@gmail.com

السيرة الذاتية

الاسم واللقب: دريدي وفاء.

مكان وتاريخ الميلاد: ١٦/٠٧/١٩٧٣ باتنة.

المؤهل العلمي: ماجستير.

مكان الحصول عليه وتاريخه: جامعة باتنة - الجزائر ٢٠٠٩م.

الدرجة العلمية: أستاذة مساعدة قسم أ.

التخصص العلمي العام: دولي عام.

التخصص العلمي الدقيق: دولي إنساني.

العمل الحالي: أستاذ وعضو اللجنة العلمية بقسم العلوم السياسية بجامعة خنشلة.

* الإنتاج العلمي:

* البحوث:

١ - «الملامح الأساسية لمحكمة سيراليون الخاصة، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية»، العدد ١٩، ٢٠١٤م، جامعة الجلفة - الجزائر.

٢ - حرية ممارسة الشعائر الدينية زمن النزاعات المسلحة - دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون الدولي الإنساني، مجلة العلوم القانونية العدد الثاني، السنة الثانية: صفر ١٤٣٢/ جانفي ٢٠١١م، جامعة الوادي - الجزائر.

٣ - البادية والميصرية: قراءة في العلاقة بين التيارين، مجلة التراث، العدد ١٥، نوفمبر ٢٠٠٨م، جمعية التراث - باتنة.

* المشاركة في المؤتمرات الندوات:

١ - «الحوار مع الآخر ضرورة أم ترف»، المؤتمر الدولي الحوار وأثره في الدفاع عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٧ - ٨ صفر ١٤٣٥هـ/ ١٠ - ١١ ديسمبر ٢٠١٣م.

٢ - «البعد الدولي للثورة الجزائرية، بمدخل: الثورة الجزائرية ودورها في إضفاء صفة الدولية على حروب التحرير الوطنية» ١٣ - ١٤ نوفمبر ٢٠١٣م، جامعة خنشلة، الجزائر.

٣ - «العلوم العقلية في العصر السلجوقي - علم الفلك نموذجًا»، الندوة الدولية الثانية للحضارة والثقافة السلجوقية، العلم والفكر في العصر السلجوقي، قونيا - تركيا، ١٩ - ٢٢ أكتوبر ٢٠١١م.

* العنوان:

* البريد: ص.ب رقم ٧٤ (د)، بريد ح.ل باتنة - الجزائر.

* الهاتف: ٠٢١٣٥٥٢٠٥٠٢٧٧

* الإيميل: pr.dridi@gmail.com

ملخص البحث

لم يحظ كتاب ظهر على وجه الأرض بالاهتمام بقدر ما حظي به القرآن الكريم، إذ ترك بصماته المتميزة في تصوّرات الإنسان وأفكاره ومعتقداته، بل وكل شيء في حياته. ومن ثمة أصبح تعلمه والتعمق في إدراك معانيه ومراميهِ ضرورة ملحة في المجتمعات الإسلامية، كونه حصنها المنيع ومنصة إقلاعها الحضاري المنشود.

والمجتمع الجزائري واع في معظمه بهذه الحقيقة، ومن ثمة حظي التعليم القرآني باهتمام بالغ من طرف الجزائريين، بالرغم من انتشار رياض الأطفال والمدارس التحضيرية العصرية، حيث يحرص الكثير من الآباء والأولياء على تعليم أبنائهم القرآن منذ سن مبكرة، وهذا لإدراكهم للدور الكبير والتأثير القوي الذي تلعبه هذه الكتابات في تحصين أبنائهم من الانحراف بأنواعه وفي جميع مستوياته وأشكاله فضلاً عن إكساب أطفالهم قاعدة لغوية متينة وذاكرة قوية.

ولتطوير هذه المنظومة القرآنية ينبغي تغيير الأهداف المسطرة في الكتابات وقبلها عند المشرفين على إدارتها، لأنه بدون ربط المتعلمين بالعمل بما تعلموه، ستنجح العملية التعليمية أفراداً يحفظون أموراً يخالفونها تطبيقاً وممارسة. ومن ثمة يصبح ضرورياً التركيز على تقديم خدمة عالية الجودة لمكوّنات المجتمع بما فيها سوق العمل، إذ من المطلوب نتاج تعليمي ملائم لما هو مطلوب في سوق العمل أو لما هو في المجتمع.

وكل هذا يتوقف على المعلم بدرجة أولى باعتباره حلقة من الحلقات الأساسية في هذه المنظومة وهو العنصر الحي فيها، فثقافة ووعي المعلم وتكوينه الجاد وحرصه على مسايرة التطورات الحديثة الحاصلة في ميدان التربية والتعليم عامل أساسي ومهم في نجاح المنظومة التعليمية قرآنية كانت أم غير قرآنية.

ومن هنا كان الإلحاح كبيراً على ضرورة الاعتناء باختيار وتوفير العنصر البشري المؤهل والفعال، وإن كانت بعض الكتابات والمدارس القرآنية لا

تخلو من نخب فعالة تؤدي دورها على بصيرة، فإن ما يلاحظ على العديد ممن انبرى للتعليم القرآني ضعف التكوين العلمي والبيداغوجي. وبما أن المعلم عنصر فاعل في أي عملية تعليمية، فينبغي الاهتمام بوضعيته ومكانته ومؤهلاته ووسائله التعليمية، فمن غير المعقول نكران دور الوسائل التقليدية القديمة كاللوحه والقلم والدواة وما حققته ولا زالت تحققه، لكن ليس بالضرورة أن نقف عندها ولا نتجاوزها لوسائل أخرى تساعد على بلوغ الأهداف وبمناج. إن الوسائل والتقنيات الحديثة تعد من الأمور المهمة في توفير الوقت والجهد ويمكن استغلالها في المنظومة القرآنية بما يسهم في تطويرها وزيادة فاعليتها. وحتى لو تم رفع التحديات جميعها، ستظل المنظومة القرآنية تواجه تحديًا بارزًا الآن وفي المستقبل في الجزائر وفي عالمنا العربي والإسلامي، ويتمثل في مدى قدرتها على رد الناس بوعي وعلم إلى منطلقهم السليم، منطلق ثقافة القرآن الكريم.





مقدمة

لم يحظ كتاب ظهر على وجه الأرض منذ أن خلق الله السماوات والأرض ومن فيهنّ بالاهتمام بقدر ما حظي به القرآن الكريم، إذ ترك بصماته المتميزة في تصوّرات الإنسان وأفكاره ومعتقداته، بحيث لم يترك جانباً من جوانب الحياة إلا وتناوله بالبيان الواضح، بمعنى أن فيه «كل علم وفيه تبيان كل شيء وليس مواكباً للتطور فحسب بل هو متقدم على التطور نفسه».

ومن ثمة أصبح تعلمه والتعمق في إدراك معانيه ومراميهِ ضرورة ملحة في المجتمعات الإسلامية، كونه حصنها المنيع ومنصة إقلاعها الحضاري المنشود.

وعلى هذا الأساس، فإن تعلم القرآن ينبغي أن يستمر طوال الحياة؛ لأن التربية القرآنية تشمل حياة الإنسان من كل نواحيها وتشمل أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم وأعمارهم: «فكل مسلم حي هو معلم ومتعلم في كل وقت وطوال حياته شعر بذلك أم لم يشعر»^(١).

(١) الجمالي فضل: «دور التربية القرآنية في تغيير ما بالإنسان»، ملتقى القرآن الكريم المنظم في إطار ملتقى الفكر الإسلامي ١٥، الجزائر من ٢ إلى ٨ ذو القعدة ١٤٠١هـ، منشورات وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، ج ٤، ص ٧٠.

والتعليم القرآني في المغرب الإسلامي كانت بداياته أواخر القرن الأول الهجري: ففي خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تولى إدارة المغرب الإسلامي إسماعيل بن أبي المهاجر^(١)، الذي عمل على نشر الإسلام بين السكان وتعليم أبنائهم القرآن. ومن أجل نفس المهمة أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز عددًا من الفقهاء والعلماء لنشر الإسلام وتعليم الناس القرآن وتعريفهم بمبادئ الإسلام^(٢)، كما يؤكد ذلك ابن خلدون بقوله: «وكان هؤلاء الصحابة والتابعون هم أول المعلمين في القيروان الذين نشروا القرآن والسنة ومبادئ اللغة العربية بين أبناء البربر، وبذلك تم إسلام البربر، وأصبحت لغتهم العربية... وعلى هذه الحلقة تخرجت الفئة الأولى من علماء الدين في القيروان وفي المغرب كله أمثال أسد بن الفرات^(٣)، ولم تكن حلقات العلم الكثيرة في مساجد القيروان مما يشبع طلاب العلم، فكانت الرحلة في طلب العلم»^(٤).

والجدير بالذكر أن الكتاب صاحب الفاتحين في فتوحاتهم، حيث كان عبارة عن خيمة من خيام المعسكر^(٥)، مما يعني بدء التعريف

-
- (١) لقد كان هذا الوالي مربيًا لأبناء الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.
 (٢) ابن سحنون محمد: آداب المعلمين، تحقيق عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ، ص ٣.
 (٣) هو قاضي القيروان أصله من خراسان، فتح صقلية بعشرة آلاف مجاهد، وتوفي من جراحات أصابته عام ٢١٣هـ.
 (٤) ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، ط ٢ نقلًا عن سحنون، مرجع سابق ج ٢، ص ٣١.
 (٥) التوزري إبراهيم: تاريخ التربية، بتونس، الشركة الوطنية للنشر، تونس، بدون تاريخ، ص ٩٧.

بالإسلام والإعلام بحركة انتشاره ثم تواصلت مهمته لتثمر التمكين للإسلام دينًا ودولة، عقيدة وشرعية، وللقرآن منهجًا ودستورًا بعد ما تلقاه المغاربة بالقول والحفظ وأخذ الخلف عن السلف كاملاً بسوره وآياته، حيث وجدوا فيه وسيلة لتحرير العقل من سلطان الخرافة وإطلاقه من إसार الأوهام.

ويتلقى الأطفال في الجزائر، الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٤ و ١٥ سنة، القرآن الكريم في مدارس تشرف عليها السلطة ويتولى تسييرها وتمويلها في أحيان كثيرة خواص من أهل الخير وأيضًا في كتاتيب تشرف عليها الزوايا أو شيوخ من حفظة القرآن الكريم.

وكان معلم الكتاب القرآني في الغالب يتقاضى راتبه من أولياء التلاميذ، وفيما يخص تجهيز الكتاب، فعادة ما يجلس الأطفال على حصائر مصنوعة من الحلفاء أو الديس.

وعندما يحضر الطفل لأول مرة إلى الكتاب يقدم له المعلم (الشيخ، الطالب، الفقيه، انعمسيدي)^(١)، لوحة يكتب عليها حروف الهجاء العربية في جهة واحدة، أما الجهة الثانية فيكتب عليها سورة الفاتحة (انظر لاحقًا الشكل ١ و ٢)، ثم يبدأ المعلم في تلقين الطفل هذه السورة جملة ليحفظها سماعًا بدون تهجية وبدون قواعد ناهيك عن الفهم.

وقد حظي التعليم القرآني باهتمام الجزائريين، حيث يحرص الآباء

(١) تعددت الألقاب التي تطلق على القائمين على أمر الكتاتيب باختلاف المناطق: فهناك المالم (المعلم) و(الألفا) (الفقيه الفاهم)، المرايو (المرابط)، مادبو (المؤدب)، (الفقيه) و(القوني) إلخ، وهي في مجموعها ألقاب شرف تعكس المكانة الاجتماعية التي حظي بها معلمو القرآن من خلال ارتباطهم وإدارتهم للكتاتيب والمدارس القرآنية.

على تعليم أبنائهم القرآن الكريم منذ سن مبكرة: فلا يكاد يبلغ الطفل الرابعة من عمره، وبخاصة في الأرياف، حتى يبعثه أبوه إلى الكتاب، مدرسة المسجد أو كتاب الزاوية لحفظ القرآن، ويتخذه بعضهم كتعليم تحضيرى للمدرسة ويكتفون بتحفيظ أبنائهم ما تيسر لهم من السور قبل بلوغ سن السادسة ودخول المدرسة الرسمية، بينما يتخذه آخرون غاية في حد ذاته ولا يقبلون بما دون حفظ أكبر قدر ممكن من السور القرآنية الكريمة، كما يؤكد ذلك توفيق المدني حين يقول: «كان التعليم العربي الحر في الجزائر يشمل قديماً ثلاث مراتب: أولي ويعطى في الكتاتيب، ويقبل الناس عليه إقبالاً شديداً، فلا تجد حارة من حارات المدن والقرى، أو مضرباً من مضارب الخيام أو دشرة إلا وبها الكتاب والطالب، وكان التعليم بها بسيطاً يشمل القرآن الشريف والكتابة. وبفضل تلك الكتاتيب البسيطة كانت الأمية قليلة الانتشار»^(١).

وبالرغم من انتشار رياض الأطفال والمدارس التحضيرية العصرية، إلا أن الكثير من الآباء لا يزالون يفضلون إرسال أبنائهم إلى المؤسسات القرآنية، في القرى والمدن على السواء، وهذا لإدراكهم لدورها الكبير في إكساب أطفالهم مبادئ الدين الحنيف وقاعدة لغوية متينة وذاكرة قوية.

وخلافاً للكتاتيب في القرى وكتاتيب الزوايا، فإن فتح مدرسة قرآنية في مسجد أو في محيطه الوقفي، يتم بموجب قرار من وزير الأوقاف

(١) المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٤، ص ٣٠٤.

الذي يحدد تسميتها وموقعها، ويسند مهمة إدارتها إلى إمام المسجد عادة، ويتولى هذا الأخير تعيين معلم المدرسة القرآنية، الذي لا يراعى في اختياره شروطًا محددة. وربما كان ذلك أحد الأسباب التي أسهمت في ضعف أداء منظومة التعليم القرآني وتدني فاعليتها.

وعلى الرغم من تبعيتها للوزارة، إلا أن غالبية المدارس القرآنية لا تكاد تختلف عن الكتاتيب سوى من حيث التجهيز وراتب المعلم الرسمي، بينما الجوانب الأخرى المتعلقة بالتنظيم، تكوين المعلم، البرامج، طريقة التدريس ومنح الحفظة شهادة مستوى فلا وجود لها، كما أن غالبية هؤلاء لا يتعدى زادهم المعرفي الحفظ الآلي للقرآن الكريم.

وهذه الوضعية ربما كانت وراء مشروع «منظومة تعليم قرآني شاملة في الجزائر» والذي أعدته لجنة من خبراء التربية والشرعية بطلب من الوزارة الوصية بهدف تطوير وإصلاح المنظومة التعليمية القرآنية وثبتت دعائمها ومنح التكوين القرآني بها بعدًا أكثر تنظيمًا، جدية وفاعلية. وينتظر الشروع في التطبيق الفعلي لنتائج عمل اللجنة حتى يتسنى تقنين وتنظيم قطاع التعليم القرآني في جوانبه المختلفة.

وبناء على ما سبق يمكننا طرح التساؤلات التالية:

* ما هو واقع التعليم القرآني بالجزائر؟

* ما هي مؤسساته؟

* ما مدى اهتمام الجهات الرسمية والمجتمعية به؟

* ما حجم الإمكانيات المادية والبشرية المرصودة له؟

* ما نوع العقبات والتحديات التي تعترض تطور منظومة التعليم القرآني؟

* ما هو السر في الإقبال من كل طبقات المجتمع على الكتابات والمدارس القرآنية، رغم طابعها التقليدي وضعف مستواها التعليمي؟

ما مدى إسهام عصرة المؤسسات وتطوير الوسائل وإصلاح أساليب التعليم ومناهجه والأخذ بمستجدات العصر في تطوير منظومة التعليم القرآني، وزيادة فاعليتها؟



مفاهيم مصطلحية

١ - القرآن الكريم: هو كلام الله تعالى، المنزّل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام المنقول إلينا بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه، المجموع بين دفتي المصحف، المفتوح بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس، الذي أوحاه جل شأنه إلى نبيه محمد ﷺ ليكون منهج حياة ودستور أمة. وهو المصدر الأول والرئيس لكل ما تحتاجه البشرية في مختلف المجالات العلمية، وشتى الميادين المعرفية، وفي كل جزئية من جزئيات حياتها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١).

٢ - المنظومة: وتعرف المنظومة اصطلاحاً على أنها تركيب مجموعة من الأجزاء المتداخلة التي تتفاعل مع بعضها البعض وترتبط فيما بينها بعلاقات تأثير وتأثر مستمر، ويؤدي كل جزء منها وظيفة محددة وضرورية للمنظومة بأكملها. والمنظومة بيئة ذاتية التكامل تترابط مكوناتها وعناصرها ببعضها ببعض ترابطاً وظيفياً محكماً، يقوم على أساس من التفاعل الحيوي بين عناصر هذه المنظومة ومكوناتها بعلاقات تبادلية شبكية تعمل معاً على تحقيق أهداف محددة. وتتميز هذه

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

المنظومة بأنها بيئة مفتوحة وليست مغلقة، بيئة متطورة وليست جامدة، بيئة عنكبوتية التشابك وليست خطية التابع^(١).

وقد ظهرت مئات المحاولات لوضع تعريف موحد للاستدلال على المعنى العلمي لكلمة منظومة نذكر منها هنا التعريف التالي: «المنظومة هي مجموعة من المركبات والأجزاء التي تعتمد في عملها على بعضها طبقاً لتخطيط محدد يساعدها (المنظومة) للوصول إلى أهداف محددة بعينها»^(٢).

٣ - التعليم: التعليم لغة: من علم، وعلمه الشيء تعليماً فتعلم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٣) وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾^(٤).

اصطلاحاً: عند علماء المسلمين لا يقتصر على الجانب المعرفي، بل يتعداه إلى سائر الجوانب الحركية والوجدانية. ويعرف بأنه العملية المنظمة التي يمارسها المعلم بهدف نقل ما بذهنه من معلومات ومعارف إلى المتعلمين الذين هم بحاجة إلى تلك المعارف.

٤ - الكتاب: الكتاب بضم الكاف وتشديد التاء: موضع تعليم، والجمع كتاتيب. واستعمل أحياناً ابن سحنون كلمة «مكتب» عوض لفظة «كتاب»، ويظهر أن مصطلح كتاب يقابله في مناطق أخرى مصطلح

(١) الكيسي عبدالمجيد: منظومة التربية القرآنية (رؤية منهجية)، متوفر على الموقع

الإلكتروني: <http://popedu2010.blogspot.com/2013/07/blog-post.html>

(٢) مفهوم المنظومة: متوفر على الموقع الإلكتروني: <http://forum.stop55.com/251020.html>

(٣) سورة البقرة: الآية، ٣١.

(٤) سورة النساء: الآية، ١١٣.

مسيد في منطقة الجزائر، الجامع في منطقة الأوراس... الخ. والكتاتيب مراكز صغيرة نسبياً، غالباً ما تتضمن حجرة أو حجرتين مهمتهما الأساسية تتمثل في تحفيظ وتعليم القرآن الكريم للصغار^(١).

٥ - الزاوية: في اللغة من الانزواء والانطواء والانعزال والبعد عن حياة العامة^(٢). ولعل هذا ما يفسر وجود أغلب الزوايا في الجهات المهجورة. وزوي الشيء أو زواه بمعنى قبضه معه، مما يفيد التركيز والتمكين من الشيء أيضاً وزوى الشيء، أي: نحاه، وانزوى القوم بعضهم إلى بعض، أي: تدانوا وتضامنوا^(٣). والزاوية مأخوذة من الفعل: انزوى، ينزوي، بمعنى اتخذ ركنًا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد^(٤).

وأما اصطلاحاً: فالزاوية ركن من أركان المسجد اتخذت للعبادة والاعتكاف والتعبد، ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى أبنية صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في العلوم النقلية والعقلية، كما يعقد فيها مشايخ الطرق الصوفية حلقات الذكر^(٥).

والزاوية عبارة عن مكان إيواء المحتاجين وإطعامهم وتسمى في

(١) ابن سحنون محمد: آداب المعلمين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٢، ص ٦٤.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠، ج ١٤، ص ٣٦٣.

(٣) ابن منظور: المرجع، ص ٣٦٤.

(٤) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت ١٩٩٦، ج ٤، ص ٤٠١.

(٥) حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص ٤٠١.

الشرق خناقة^(١)، كما عرفت في بداية تأسيسها ببلاد المغرب بدار الكرامة في العهد الموحي وبدار الضيوف في العهد المريني^(٢). وتطلق الزاوية أيضًا على الرباط الذي تنشئه إحدى الطرق الصوفية، وقد تطلق كلمة الزاوية على مسجد به ضريح لأحد الأولياء. وكثيرًا ما تلحق بالزاوية حجرات ينزل فيها الضيوف والمنقطعون للعلم أو العبادة^(٣).

٦ - المدرسة: لفظ مدرسة يرجع أصله إلى اللفظ اليوناني سكول (skhole) أو اللاتيني سكولا (schola) ويعني في اللغتين تقريبًا وقت الفراغ الذي يقضيه الناس مع رفقاتهم للدراسة واستزادة المعرفية. وتطور اللفظ بعد ذلك للإشارة إلى التكوين الذي يعطى في شكل جماعي مؤسسي أو إلى المكان الذي يتم فيه التعليم أو اتباع أستاذ معين^(٤). ويفيد اللفظ حاليًا المؤسسة التي توكل إليها مهمة التكوين الأساسي للأفراد، وأيضًا التربية المدنية والفكرية والأخلاقية للتلاميذ في شكل يطابق متطلبات المكان والزمان.

ويعود اللفظ العربي من حيث اشتقاقه إلى أصل عبري حسب

(١) عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ١٩٩٩، ص ١٣٢.

(٢) محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ط ٢، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨، ص ٢٣.

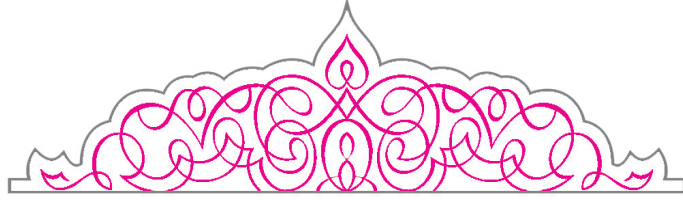
(٣) العماري الطيب: الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر، التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي-دراسة انثروبولوجية -، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة رقم ١٥، ٢٠١٢.

(٤) سعيد المحمدي: تعريف المدرسة: الحلقة الأولى، متوفر على الموقع الإلكتروني:

المؤرخين إذ استعمل في التوراة، بمعنى معهد تدرس به التوراة، مدرس، مدارس ومعناها بحث نص وشرحه ^(١). ويعرف ابن منظور المدارس: بالبيت الذي يدرس فيه القرآن ^(٢).

(١) نفس المرجع.

(٢) نفس المرجع.



وظائف الكتاتيب والمدارس القرآنية

تعد المنظومة القرآنية بمؤسساتها المختلفة إحدى البيئات التربوية الفعالة في المجتمع، وتاريخها مرتبط بتاريخ التربية والتعليم في الإسلام، حيث كانت الكتاتيب والمدارس والزوايا القرآنية من أقدم مؤسسات التربية والتعليم في الإسلام، وقد برزت مكانة هذه المؤسسات من خلال عملية تعليم القراءة، الكتابة، حفظ القرآن الكريم، غرس الأخلاق الإسلامية، تعليم العقيدة والعبادات والمعاملات، وتلك هي مدخلات العملية التربوية في القرآن والتي يجب أن يكون معلمو الكتاتيب والمدارس القرآنية على علم بها وملمين بكلياتها وأيضاً جزئياتها، حتى يتسنى لهم تطبيقها في ممارساتهم التعليمية، مما يضمن الوصول لتعليم قرآني ناجح وفعال.

وبناء على ما سبق يمكن حصر هذه الوظائف في التالي:

١ - الوظيفة التعبدية:

تتمثل الوظيفة التعبدية في قراءة وحفظ وتدبر القرآن الكريم، الذي يكون غالباً في المساجد والمدارس والمحاضر وكتاتيب الزوايا، ويمكن أن تتحقق الوظيفة التعبدية من خلال بعض الوسائل التي منها:

- * تربية التلاميذ على إخلاص العبادة لله وحده.
- * تشجيع التلاميذ على الإكثار من تلاوة القرآن الكريم وتدبره ومراجعته.
- * حث وتدريب التلاميذ على ذكر الله، حيث أن أعظم الذكر قراءة القرآن الكريم وتدبر معانيه.
- * غرس الثقافة الإسلامية وتنميتها في قلوب الناشئة من خلال حفظ القرآن الكريم وفهمه وتطبيقه: فكان الأولياء وما زالوا يرسلون أبناءهم إلى الكتاتيب القرآنية المنتشرة في جميع المناطق رغبة منهم في تربية أبنائهم تربية إسلامية وترسيخ قواعد الإسلام لديهم، والأكثر من ذلك يرون أن تعليم أبنائهم القرآن واجب شرعي، كما يؤكد ذلك ابن خلدون بقوله: «اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعار الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في أمصارهم لما يسبق به إلى القلوب من رسوخ الإيمان، وعقائد من آيات القرآن، وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخًا وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات»^(١).

٢ - الوظيفة التربوية:

تعتبر مؤسسات المنظومة القرآنية من المحاضن التربوية التي تكمل

(١) ابن خلدون: مرجع سابق، ص. ٤١٨.

أدوار البيئات التربوية الأخرى، وحتى تتحقق هذه الوظيفة لا بد أن تتوفر جملة من الشروط لعل أهمها ما يلي:

* الاهتمام بالكم دون إهمال الكيف، وذلك من خلال الإعداد الأفقي الذي يعنى بشرائح اجتماعية عريضة توفر السند الكمي بجانب الإعداد العمودي، والذي يهدف لإعداد إطارات قيادية وتربوية توكل إليها مهام التسيير والتنفيذ على مختلف المستويات ليس في المؤسسات القرآنية وحسب، بل حتى في غيرها من المؤسسات.

* العناية بالتحفيز والتشجيع للسلوك السوي للمتعلم، سواء كان التحفيز معنوياً أو مادياً.

* أن يكون المعلم القرآني قدوة حسنة، لأنه بتصويب النظر في سلوك هذا الأخير يتضح مدى نجاحه في أن يكونوا عند حسن ظن تلاميذه وأولياء أمورهم وأفراد المجتمع.

* حث الطلاب على تجنب الألفاظ البذيئة أو المخالفة للقيم والمبادئ أو التعبير أو التنازع بالألقاب أو اللعن أو غيرها.

* الاهتمام بالمتفوقين من الطلاب والعمل على اكتشاف ما لديهم من طاقات ومواهب.

* محو الأمية وتنمية الزاد المعرفي للأفراد، كما يؤكد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله: «ثلاث لا بد للناس منهم، لا بد للناس من أمير يحكم بينهم، ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً، ولا بد للناس من شراء المصاحف وبيعها، ولولا ذلك لقل كتاب الله، ولا بد

للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجرًا، ولولا ذلك لكان الناس أميين»^(١).

وباختصار، التربية القرآنية غايتها تحقيق أهداف محددة تدور في إطار التقوى، والفلاح والصلاح، وهي^(٢):

- تربية الفرد الصالح في ذاته، آخذة بعين الاعتبار جميع أبعاد النمو: الروحية، الانفعالية... إلخ.
- تربية المواطن الصالح في الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم.
- تربية الإنسان الصالح للمجتمع الإنساني.

٣ - الوظيفة اللغوية واللسانية:

يؤكد المتخصصون في التربية والتعليم وطرق التدريس أهمية حفظ القرآن وتلاوته في اكتساب الملكة اللسانية، وإتقان أهم المهارات اللغوية وخاصة عند الأطفال الصغار الذين يحفظون القرآن في سن مبكرة. والقرآن يمتاز على غيره بمنهجه الفريد الذي يربي في الإنسان الفطرة السليمة، والعقل الواعي والقدوة الحسنة^(٣)، ومن هذه المهارات نذكر منها ما يلي:

*** زيادة الثروة اللغوية:** فهي تساعد الطفل في المستقبل على فهم كثير مما يقرأ أو يسمع وتكسبه مهارة سرعة القراءة، التحدث بطلاقة،

(١) نقلًا عن التيجاني: مرجع سابق، ص ١٥.

(٢) طراد حمادة: التربية القرآنية (مقاربة فلسفية)، ٣١/٣، ٢٠١٣ متوفر على الموقع

الإلكتروني: <http://www.balagh.com/mosoa/pages/tex.php?tid=616>

(٣) الجمالي فاضل: نحو تربية مؤمنة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٧٧، ص ٩.

القدرة على التعبير للمعنى الواحد بألفاظ مختلفة ومتنوعة، كما تمنحه الثروة اللغوية قدرة فائقة على التفكير.

*** النطق السليم:** من الصفات المهمة في المتحدث باللغة العربية سلامة النطق صوتياً، وصرفياً، ونحويًا، ويتحقق بها جميعًا القدرة على التعبير الفصيح. وحتى نضمن تشكل ذلك عند الطفل لا بد من تعليمه القرآن الكريم، وأول ما يتعلمه هو إتقان النطق الصوتي المتعلق بمخارج الحروف.

*** التعبير البليغ:** لئن كانت الفصاحة تهدف إلى الوضوح والإفهام، فإن البلاغة تهدف إلى عرض القول الفصيح بأسلوب يكون به حسن الإفادة وقوة التأثير، والقرآن الكريم يكسب الطفل الصغير مع فصاحة الكلام بلاغة العبارة: فأفصح وأبلغ الناس من حفظ القرآن الكريم.

٤ - الوظيفة الأخلاقية:

المقصود هنا تلك القيم العالية والصفات الفاضلة التي يغرستها المعلم القرآني في نفوس الطلاب من خلال الممارسة اللفظية أو السلوكية فينعكس أثرها على سلوك وتعاملات الطلاب، ولا يصبح تحقيق ذلك ممكنًا إلا باتباع بعض الوسائل التي تحقق الوظيفة الأخلاقية:

*** تهذيب سلوك الطلاب بالعمل على إبعادهم عن الأخلاق السيئة** التي تؤدي إلى انحرافهم، مثل: الغش، والسرقه، والكذب، عدم احترام الوالدين وكبار السن... وحثهم على الأخلاق

الفاضلة، مثل: الصدق والحياء والكرم والصبر والتواضع والعدل...

* غرس الآداب الإسلامية في نفوس التلاميذ: أدب السلام، أدب الدخول إلى المسجد والخروج منه وأدب الاستئذان...

* استثمار أسلوب القصص القرآني في شدّ انتباه الطلاب وإثارة قدراتهم الفكرية.

ولكي تتحقق هذه الجوانب كلها بطريقة صحيحة وفاعلة فإنه يلزم الاهتمام بالتربية في الأقسام والحلقات القرآنية؛ لأن الاقتصار على الحفظ قد لا يحقق الأهداف التربوية من التعليم القرآني. والواجب الجمع بين حفظ القرآن الكريم والتأديب التربوي حتى يتخرجوا حفظاً متقنين للتلاوة، عاملين بآداب القرآن الكريم^(١).

٥ - الوظيفة العقلية :

ينوه الإسلام تنويراً كبيراً بالعقل ويعلي مكانته وقيّمته ويحفّل به وبوسائل الإدراك، ونجد شاهداً على ذلك في الآيات القرآنية الكريمة التي تواردت بشأنه، وخير دليل على ذلك أن مشتقات كلمة العقل تكررت في القرآن الكريم حوالي سبعين مرة، وأما الآيات التي تتصل بالعمليات العقلية، وتحث على النظر والتفكير والتدبر والتبصر في آيات الله في الأنفس والآفاق، وفي حوادث التاريخ، وأحكام التشريع،

(١) حوالف عكاشة: تعليم القرآن للطفل وأثره في بناء شخصيته، المؤتمر الثالث للقرآن الكريم التعليم القرآني للصغار واقع وآفاق قسنطينة ٢٠١٤.

وتتوجه بالخطاب لأولي الألباب، فقد بلغت من الكثرة حدًا أعطى الإسلام ميزة بين كل المذاهب والشرائع.

و هذه الوظيفة تتم من خلال تنمية القدرات العقلية والفكرية للفرد كالإدراك والحفظ والتذكر، وهذه بعض الأساليب التي تحقق الوظيفة العقلية :

* بيان أهمية التكرار للطلاب، حيث يؤدي ذلك إلى الحفظ المتين وعدم النسيان، وهذا الأسلوب أحد وسائل حفظ القرآن الكريم.

* مراعاة قدرة التلميذ على الحفظ والتسميع والمراجعة وحمايته من الإرهاق الذهني.

* تشجيع الطلاب على السؤال والاستفسار أثناء التعليم، لأنَّ السؤال يؤدي إلى التعلم والفهم.

* تنبيه التلميذ عند الوقوع في الخطأ بأسلوب الحوار القائم على الإقناع.

* تهيئة البيئة التعليمية القرآنية بالمؤثرات العقلية والثقافية كالوسائل التعليمية والرسوم والكتب والرحلات الترفيهية والخرجات الميدانية ذات الطابع العلمي.

٦ - الوظيفة الاجتماعية :

إن أهمية الوظيفة الاجتماعية في حياة المسلم عظيمة، كما أن آثار التربية القرآنية في توجيهه نحو تلك الوظيفة تأخذ حظًا كبيرًا، وتدل على أثر فهم واستيعاب المسلم للقرآن الكريم ودور وفاعلية ذلك الفهم

والتدبر في بناء المجتمع وتعاونه وتماسكه ونهوضه. وهذه بعض الأساليب التي على المعلم القرآني اتباعها والتي تسهم في تحقيق هذه الوظيفة، منها:

* تنمية العلاقات الودية بين تلاميذ المؤسسة القرآنية وتقوية رابطة الأخوة والتعاون بينهم.

* تعميق شعور التلاميذ بالانتماء الاجتماعي للمجتمع المسلم وتعزيز الانتماء الوطني بحيث يصبح التلميذ عضواً فاعلاً في كتابه، ومدرسته وأسرته ومجتمعه.

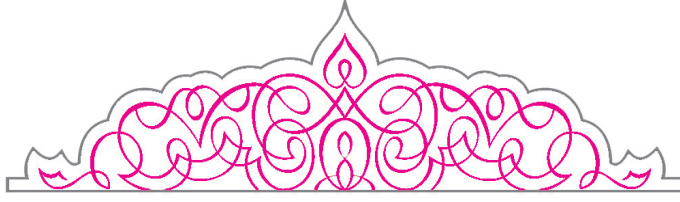
* تهيئة البرامج التربوية التي تساعد التلميذ في تحمل المسؤولية من خلال تكليفه بأعمال تشعره بذلك؛ كالأنشطة والمسابقات والزيارات.

* الحد من عمالة الأطفال، وأيضاً القضاء على ما يسمى أطفال الشوارع، وعليه ففتح مدارس قرآنية، حسب مسؤولين في وزارة الأوقاف، سيجعل هذه المدارس تمتص هذا العدد الهائل من الأطفال الذين هم بين سن ١٢ و ١٨ من الاستغلال البشع في العمل، وأيضاً من الشارع الذي سيؤثر حتماً على تربيتهم وعلى أخلاقهم.

والخلاصة أن القرآن الكريم يتعرض في كثير من آياته للأسس والمرتكزات والقيم التربوية التي جاءت وحياً من الله تعالى لإصلاح الإنسان المسلم، ضمن سياق موضوعي ونظام متكامل. ونجاح تلك الإصلاحات ذات الطابع التربوي، العلمي والمعرفي والحضاري تعود

في الأساس إلى حسن قراءة وفهم النص القرآني، ومن ثمة فهمه وتدبره، ثم بعد ذلك استيعابه وتنزيله في مفردات حياته وتفاصيل واقع معيشتة وعلاقاته ومعاملاته وحواراته مع ذاته ومع الآخر^(١).

(١) المجلس أحمد غالب: أثر فهم القرآن وتدبره في إصلاح الفرد والجماعة، صحيفة الجمهورية- اليمن، الأربعاء ١١ سبتمبر ٢٠١٣، متوفر على الموقع الإلكتروني:



دوافع اهتمام الجزائريين بتعلم القرآن الكريم

أدرك الاستعمار الفرنسي، منذ احتلاله الجزائر، أن استقراره واستتباب أمره لن يتم مادام كتاب الله يتلى بين الجزائريين، فناصره العداء وتعرض لمن يعلمه بالمكروه والبلاء حسب وصف ابن باديس: «مضت سنوات في غلق المكاتب القرآنية، ومكاتب التعليم الديني العربي، والضنّ بالرخص، واسترجاع بعضها حتى لم يبقوا منها إلا على أقل القليل»^(١).

ولا شك أن موقف الاستعمار هذا كانت له آثار سلبية كبيرة على الشعب الجزائري بأكمله، حيث نشأت أجيال لا تعرف من الإسلام إلا ما ورثته عن الآباء والأجداد، مع ما شابه من غريب البدع والخرافات. غير أن هذا الوضع البائس، لم يثن رجال الإصلاح على قتلهم عن مواصلة جهودهم في التغيير عن طريق التربية والتعليم والتوعية لأبناء الأمة، كما يؤكد ذلك الإمام بن باديس: «إن الذي يُبقي لنا في

(١) نقلاً عن مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، متوفر على الموقع الإلكتروني: http://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang

المسلمين الرجاء، ويفسح لنا الأمل، ويبعثنا على العمل، هو أن ما عليه أكثرنا ليس عن زهد في الإسلام، ولا عن قلة محبة فيه، وإنما هو عن جهل طال عليه الأمد، وغفلة توالى على الحقب.. وللجهل - بحمد الله - دواؤه الشافي وهو التعليم، وللغفلة علاجها النافع وهو التذكير^(١).

وقد كان تعليم القرآن الكريم للأطفال الصغار هو ديدن غالبية الجزائريين في المدن كما في الأرياف ومحل اهتمامهم ورعايتهم، فقد حرصوا أن يكون القرآن هو اللبنة الأولى وحجر الأساس في تعليم أبنائهم وبناتهم. ولا أدل على ذلك من العدد الهائل للكتاتيب والمدارس القرآنية التي لا يكاد يخلو حي أو حارة من كتاب أو مدرسة قرآنية، وهو الأمر الذي دفع الجهات المختصة إلى العمل على تنظيم هذا القطاع الحيوي وتحديثه ليستجيب لمتطلبات المجتمع وأيضاً للتطورات العلمية والتقنية الحاصلة.

وهذا الاهتمام مرده في نظرنا لإدراكهم الراسخ أن البناء المعرفي لدى الطفل الجزائري يجب أن ينطلق من التزاوج بين التعليم العام والتعليم القرآني أو الديني، وبما أن المناهج التربوية المتوفرة حالياً تعاني نقصاً في قضية الجمع بين التعليمين، أصبح لزماً إعادة تأهيل المنظومة القرآنية وتفعيل عملها لتقوم بهذا الدور على أكمل وجه وهي بدون شك قادرة على ذلك، حيث كانت لنا تجربة التعليم الأصلي والتي كانت تجربة ناجحة في المزج بين التعليمين، غير أن

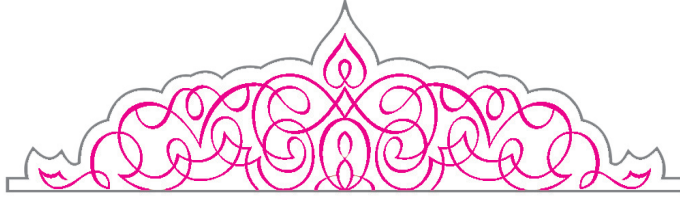
(١) نقلاً عن حميداتو، مرجع سابق.

الأيدولوجيا العقيمة والمقيدة قضت على هذه التجربة، حينما اشتد عودها وأتت أكلها، بإجهاضها عام ١٩٧٥ بأمر ومباركة من الرئيس الراحل هواري بومدين من أعداء التعليم الأصلي من الشيوعيين والعلمانيين بحجة توحيد التعليم لأبناء الجزائر وهي كلمة حق أريد بها باطل، مع ضرورة الإبقاء على فرع العلوم الإسلامية كفرع مستقل إلى جانب الفروع الأخرى.

ورغم ذلك تواصلت الهجمة الشرسة والعدائية للعلوم الإسلامية، فتم في بداية القرن الواحد والعشرين إلغاء فرع العلوم الإسلامية من طرف وزارة التربية الوطنية التي كان على رأسها الوزير أبو بكر بن بوزيد وتم اختصارها في مادة العلوم الإسلامية.

لكن رغم هذه المحاولات اليائسة، ظلت هوية المجتمع الجزائري فعالة فيما تعلق بتعليم كتاب الله للأجيال، وذلك عن طريق الدعم اللامحدود لإنشاء المدارس^(١) والكتاتيب القرآنية، من أجل نشر التعليم القرآني.

(١) ومن أمثلة ذلك: إنجاز المدرسة المسماة دار القرآن الشيخ أحمد سحنون، التي كلف إنجازها ٢٠٠ مليون سنتيم، أي: ما يعادل ٢٥ مليون دولار، تمت بفضل هبات وصدقات المحسنين، الذين غالبيتهم رفضوا الكشف عن هويتهم.



المؤسسات المكونة

للمنظومة القرآنية في الجزائر

ويندرج في هذا الإطار الكتابات والمدارس القرآنية المنتشرة في كامل ربوع الجزائر والتي عن طريقها يحافظ المجتمع على هويته الإسلامية ومن خلالها يتعلم الأطفال القرآن الكريم قبل التحاقهم بالمدارس العامة: ففي السنوات الأخيرة تضاعف الإقبال على هذه المؤسسات بالنسبة للأطفال، وأما الكبار فالعديد منهم ممن لم يسعفه الحظ في الالتحاق بالمؤسسات المذكورة، فضل تعلم القرآن وحفظه من خلال التحاقه بالحلقات القرآنية التي تتوفر عليها غالبية المساجد، وأيضاً تلك التي تديرها الجمعيات المهمة بتحفيظ القرآن.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن التعليم القرآني لا يقتصر على الرجال فقط، بل بالعكس فحتى النساء والبنات التحقن بهذه المؤسسات وكان للكثير منهن نصيب وافر من التعلم والحفظ.

ويمكن تقسيم هذه المؤسسات إلى ثلاثة أنواع: كتابات، مدارس قرآنية وكتاتيب زوايا. وتعتبر هذه المؤسسات روافد مهمة من روافد العلم التي أسهمت في صيانة المجتمع الجزائري من الذوبان والمسخ

وحماية هويته من الاندثار والضياع في أحلك الظروف وما زالت^(١).
والتعليم الذي تقدمه المؤسسات سابقة الذكر هو نوع من التعليم
«المحصن للسان من حيث الأداء اللغوي، وللفكر من حيث سلامة
العقيدة وللروح من حيث البناء السليم»^(٢).

١ - كتاتيب الزوايا :

الزاوية في الجزائر هي مؤسسة يقوم ببنائها الأثرياء لتعليم القرآن
وإيواء عابري السبيل، ويشرف على إدارتها شيوخ الطرق وتفتح أبوابها
لتعليم القرآن ومختلف العلوم الدينية وحتى الدنيوية، منها للراغبين في
ذلك من أبناء الجزائر بل وحتى من خارجها.

وإلى هذه الزوايا يعود الفضل في إعلاء شأن الإسلام وحفظه
بالجزائر كما يؤكد ذلك توفيق المدني: « كان لبعض الطرق الصوفية
بقطرنا هذه (الجزائر) مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر،
تلك هي أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل
والظلمات وعمل رجالها الكاملون الأولون على تأسيس الزوايا يرجعون
فيها الضالين إلى سواء السبيل، ويقومون بتعليم الناشئين، وبث العلم
في صدور الرجال. ولولا تلك الجهود العظيمة التي بذلوها والتي نقف

(١) لتفاصيل أكثر، انظر: أجقو علي: « دور الكتاتيب القرآنية الحرة في الحفاظ على القرآن
واللغة العربية في الجزائر»، آفاق الثقافة والتراث، السنة الثالثة عشر، عدد ٤٩، فر
١٤٢٦هـ/ ابريل ٢٠٠٥، ص ٣٠ وما يليها

(٢) أحمد العمراني: الكتاتيب القرآنية بالمغرب بين الموجود والمقصود «سبل تطويرها مع
الحفاظ على خصوصياتها»، متوفر على الموقع الإلكتروني:

أمامها موقف المعترف المعجب لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثرًا للعربية ولا لعلوم الدين».

وبعد الاستقلال اضمحل دور الزوايا نتيجة للسياسات الحكومية التي كانت سائدة في ذلك الوقت والتي كانت ترى بأن الزوايا في غالبيتها كان لها موقف سلبي أثناء فترة الاحتلال، حيث كان لمشايخها احتكاك كبير بالإدارة الاستعمارية، التي دعمتها في بادئ الأمر نتيجة لثقلها الوازن في المجتمع وفي مرحلة تالية، حتى تقف في وجه حركة الإصلاح التي تزعمها الإمام عبد الحميد بن باديس في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي تحت راية «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين».

واستمر الوضع على ما هو عليه بالنسبة لهذه المؤسسات إلى بداية التسعينيات حيث عادت السلطة من جديد لترفع عليها الحظر وتسمح لها بالنشاط وتغدق عليها بالمساعدات المالية السخية للاستفادة من دعم شيوخها في كبح جماح التيار الباديسي الإصلاحى أو ما يعرف بتيار البناء الحضاري.

٢ - كتاتيب المساجد والمستقلة :

الكتاتيب^(١) هي مؤسسات تعليمية تختص حصريًا تقريبًا في تعليم القرآن للأطفال وأيضًا للكبار. والكتاب: عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد، مستقلة أو حتى بعيدة عنه، أو غرفة في منزل، يتم فيها تعليم الأطفال الصغار القرآن الكريم، على أساس أن فقهاء

(١) وللكتاب تسميات متعددة تختلف من منطقة إلى أخرى: (الدارة) في غرب إفريقيا، (الخلوة) في السودان الشرقي و(الدكس) في القرن الإفريقي.

المالكية يرون أن تعليم الصغار في المسجد أي: في قاعة الصلاة غير لائق: فقد سئل الإمام مالك عن تعليم الأطفال في المسجد فأجاب: «لا أرى ذلك يجوز، لأنهم لا يتنظفون من النجاسة، ولم ينصب المسجد للتعليم»^(١)، مستدلاً في رأيه هذا بقوله ﷺ: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم...»^(٢).

وقد بني الكتاب خصيصاً لتعليم القرآن: فقد بينه صاحبه على شكل مشروع خيرى ويدفع حتى أجرة المعلم، كما قد بينه المعلم نفسه أو يكتريه من مالكة ليعلم فيه بأجرة يتقاضاها من الأولياء.

وقد انتشرت الكتابات بكثرة في العهد الاستعماري الفرنسي، وذلك ردّاً على سياسة التجهيل التي اعتمدتها فرنسا بحق الجزائريين للحيلولة بينهم وبين دينهم، ولغتهم وقرآنهم، وبالتالي منع تشكّل الوعي الديني والوطني لديهم. وقد ساهمت هذه الكتابات بفعالية في إفشال مخطط القضاء على عناصر هوية الشعب الجزائري ليس فقط زمن الاحتلال، بل حتى في الوقت الحاضر.

وبعد الاستقلال، واصلت الكتابات ومعها المدارس القرآنية رسالتها الحضارية، حيث أمدت المجتمع بجيش من المدافعين عن إسلام وعروبة الجزائر وانتمائها الحضاري.

والكتابات القرآنية في الأرياف ما زالت تقليدية، بمعنى أنها لا

(١) التجاني الطالب عبد الرحمن: الكتابات القرآنية بندرومة من ١٩٠٠ إلى ١٩٧٧، د.م.ج،

الجزائر ١٩٨٣، ص ٦٣.

(٢) نفس المرجع، ص ٦٢.

تخلط في الغالب مع تحفيظ القرآن شيئاً آخر من العلوم كاللغة، الحديث، الفقه، السيرة أو غيرها من المعارف التي تتصل بفهم القرآن وأغراضه ومقاصده، وهي طريقة كانت سائدة في المغرب الإسلامي أشار إليها ابن خلدون في مقدمته قائلاً: «فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارس بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه... وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر»^(١).

هذه الكتاتيب كانت ولا تزال قائمة على عهدتها ونظامها وبنائها وإنما أدخلت على بعض التعديلات كالكهرباء، الغاز، الماء والبناء بالإسمنت بدلاً من الطين والخشب، وهي إضافات إسهاماتها محدودة في تطوير الفضاء التعليمي.

وهذه الكتاتيب لا تشترط في واقع الأمر سنّاً معينة لقبول الأطفال وإنما في الغالب يرسل الأولياء أبناءهم بدءاً من سن الثالثة، بخلاف المدارس القرآنية التي تشترط غالبيتها سن الرابعة فما فوق.

٣ - المدارس القرآنية :

خلافًا للكتاتيب وكتاتيب الزوايا، فإن فتح مدرسة قرآنية في مسجد أو في محيطه الوقفي يتم بموجب قرار من وزير الشؤون الدينية الذي

(١) ابن خلدون: مرجع سابق، ص ٤١٨.

يحدد تسميتها وموقعها، ويسند مهمة إدارتها إلى إمام المسجد عادة، ويتولى هذا الأخير تعيين معلم القرآن من الذين تتوافر فيهم صفات الكفاءة، الأخلاق وحفظ القرآن. وتكفل الدولة براتب المعلم ومصاريف صيانة المدرسة والتجهيز وتساعد المؤسسات الخيرية في التمويل، كما يوجه جزء من رصيد أموال الزكاة إلى تمويل المدارس القرآنية، وهي تجربة استحدثتها الوزارة منذ سنوات قليلة^(١).

في هذه المدارس تتباين مستويات التعليم، حيث يتعلم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة وقواعد حفظ القرآن الكريم والعلوم الشرعية وأيضاً قواعد السلوك. كما تمكن هذه المدارس الطفل من تنمية الجانب الاجتماعي في شخصيته عن طريق الاتصال بالآخرين.

وقد أصبحت هذه المدارس، ليس كلها طبعاً، مؤسسات تربوية لا تختلف في شيء عن مثيلاتها في التعليم العام وخاصة دور الحضنة.

لكن هذا النوع من التعليم تواجهه على العموم تحديات كبيرة لعل أبرزها فيما رأينا: انعدام الإطار القانوني المنظم، وأيضاً ضعف هيئته التدريسية خاصة من حيث عدم مواكبة أفرادها للتطور الحاصل في المجال التربوي والعلمي والتكنولوجي.

وأما ما يتعلق بالبناء المادي للكتاتيب والمدارس القرآنية وبالنظر إلى الواقع الحالي يمكننا الجزم بأن الكتاتيب القرآنية والنسبة الكبيرة من المدارس القرآنية الحكومية وغير الحكومية تفتقر إلى الكثير من الأساسيات ناهيك عن الكماليات، من قلة النظافة وسوء التسيير وتوفير

(١) المرسوم التنفيذي رقم ٨٢ المؤرخ في ١٤ ديسمبر ١٩٩٤، المؤسس للمدارس القرآنية.

التجهيزات والوسائل العلمية الحديثة: ففي بعض المناطق من القطر الجزائري تعاني المؤسسات التعليمية من عدم توفير المياه والكهرباء، فإذا كانت المدرسة لا تتوفر على أدنى شروط الحياة فكيف نستطيع تطبيق هذه الإصلاحات.

وأمام هذا الوضع، يتبادر إلى الذهن التساؤل التالي: ما هو السبيل لتطوير منظومة التعليم القرآني، حتى نستطيع رفع التحديات، بمعنى مواكبة تطور العصر وتطور الإنسان؟

الإجابة سنعرفها من خلال صفحات هذه المداخلة.



طرق التدريس في الكتاتيب

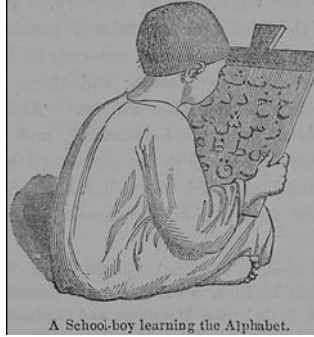
تعتمد جل الكتاتيب في تدريس القرآن على طريقة التحفيظ الآلي دون ما شرح أو تفسير وتشارك معها غالبية المدارس القرآنية، كما يؤكد ذلك تركي رابح: «والتعليم في الكُتّاب كان معظمه بدائيًا، وعلى الطريقة التقليدية المعروفة عن الكتاتيب منذ عدة قرون، حيث يقتصر على تحفيظ القرآن وحده، وتلاوته من الذاكرة من أوله إلى آخره بدون شرح لمفرداته، ولا تحليل لمعانيه، أو تفسير لمقاصده الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية والتربوية»^(١).

والطريقة المتبعة حاليًا في الكتاتيب يمكن تقديمها مختصرة في التالي: عندما يحضر الطالب إلى الكتاب لأول مرة مصحوبًا بلوحة ويكتب له المعلم فيها حروف الهجاء العربية كلها في جهة واحدة (انظر الشكل - ١)، وأما الجهة الثانية من اللوحة فيكتب له فيها سورة الفاتحة، ثم يبدأ المعلم في تلقينها للتلميذ حتى يحفظها عن ظهر قلب، ثم بعدها ينتقل لسورة الناس وهكذا صعدًا مع المصحف.

(١) تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥، ص ٢٣٦.

وبالنسبة لحروف الهجاء تبقى مكتوبة على اللوحة إلى أن يحفظها الطالب عن ظهر قلب.

الشكل (١): تلميذ (قداش) يقرأ حروف الهجاء في لوحته



جدول تعليم الأبجدية في الكتاتيب والمدارس القرآنية^(١)

الحرف	النطق	تحفيظ للترسيخ	أوصاف الحروف	مجموعة الحرف
أ	ألف	لا شان علي - لا ينقط	مطيرق - تصغير مطرق	٠١
ب	باء	نقطة من تحت أسفل	أثينة	٠٣
ث	ثاء	ثلاثة من فوق	ثنية	٠٢
ت	تاء	اثنين من فوق	ثنية	٠٢
ج	جيم	نقطة من تحت	مخيطف	٠٣
ح	حاء	لا شان عليه	مخيطف	٠١
خ	خاء	نقطة من فوق	مخيطف	٠٢

(١) زائد مصطفى: المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة، مجلة الثقافة العدد ٩٣، شعبان - رمضان ١٤٠٦/ ماي - جوان ١٩٨٦، ص ١٢٥ - ١٢٩.

د	دال	لا شان عليه	بوجناحين	٠١
ذ	ذال	نقطة من فوق	بوجناحين	٠٢
ر	راء	لا شان عليه	معرق...	٠١
ز	زاي	نقطة من فوق	معرق...	٠٢
ط	طاء	لا شان عليه	بوقرن	٠١
ظ	ظاء	نقطة من فوق	بوقرن	٠٢
ك	كاف	لا شان عليه	بوجناح واحد	٠١
ل	لام	لا شان عليه	معرق	٠١
م	ميم	لا شان عليه	دووية	٠١
ن	نون	نقطة من فوق	معرفة	٠٢
ص	صاد	لا شان عليه	مزود	٠١
ض	ضاد	نقطة من فوق	مزود	٠٢
ع	عين	لا شان عليه	فم الذيب	٠٢
غ	غين	نقطة من فوق	فم الذيب	٠١
ف	فاء	نقطة من فوق	أم رقية	٠٢
ق	قاف	اثنين من فوق	بورقية	٠٢
س	سين	لا شان عليه	ثلاث سنينات	٠٢
ش	شين	ثلاثة من فوق	ثلاث سنينات	٠١
و	واو	لا شان عليه	أم كرشتين	٠١
هـ	هاء	لا شان عليه	معرق - بوطيطة	٠١
لا	لام	لا شان عليه	بوقحيحة	٠١
ي	ياء	نقطتين من تحت	مكورة معرفة	٠٣
ء	همزة	لا شان عليه	مردودة	٠١

مما سبق يتضح أن المعلم القرآني يعتمد في تحفيظ الحروف للتلميذ على قاعدة يقسمها في أذهان التلاميذ على مجموعات ثلاثة، تشترك كل مجموعة في صفة عامة، والمجموعات هي ^(١):

- **المجموعة الأولى:** يبلغ عدد حروفها ١٥ حرفاً (٠١) ونسبتها المئوية لمجموع الحروف الأبجدية العربية هي ٥٠٪ لا يلحق بهذه الحروف شيء من نقاط لا من أسفل ولا من أعلى.

- **المجموعة الثانية:** يبلغ عدد حروفها ١٢ حرفاً (٠٢) وهي ملحقة بنقاط من أعلاها قد تكون واحدة أو أكثر ونسبتها المئوية لمجموع الحروف الأبجدية العربية ٤٠٪.

- **المجموعة الثالثة:** ويبلغ عدد حروفها ٠٣ (٠٣) بها نقاط من أسفل قد تكون واحد أو أكثر أيضاً ونسبتها المئوية لمجموعة الحروف ١٠٪.

وبمجرد الانتهاء من هذه الطريقة السابقة الذكر تكون الحروف قد رسخت في أذهان التلاميذ طبقاً لشخصية كل مجموعة من المجموعات، يشرع المعلم في تدريسها مرتبطة بموضوعات وصور محسوسة من بيئة التلميذ، وهذا يمكنه من إيجاد علاقة بين الصور الحسية التي يعرفها خلال اللعب والحياة اليومية العادية وصور الحرف المطلوب منه تعلمه.

(١) مختارية تراري: «التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة»، إنسانيات، عدد ١٤-١٥ ٢٠٠١، متوفر على الموقع الإلكتروني:

وإذا ما انتهى من حفظها ينتقل إلى مرحلة تالية تتمثل في معرفة الحرف المعجم منها والمهملة، وينطق به باللغة الدارجة على النحو التالي: ألف لا شان عليه (لا يحمل نقطة)، الباء وحدة من أسفل، التاء ثنين من فوق وهكذا. بعد ذلك ينتقل التلميذ إلى معرفة صور الحروف وأشكالها، ويعرف وجه الشبه بينها وبين بعض الأدوات المحسوسة والمستعملة في الواقع اليومي للتلميذ، وينطق بها على النحو التالي: الألف كالعصا، الباء مثل السن، الجيم كالمخطاف، وهكذا إلى آخر الحروف. ويبقى التلميذ يردد ذلك لمدة معينة حتى ترسخ صور الحروف في ذاكرته.

وعلى التلميذ في مرحلة تالية أن يعرف كيفية النطق بالحروف وهي مشكولة بالحركات، فيقول على سبيل المثال: أنصب (الألف تحمل نصبة / فتحة)، بانصب، تانصب، ثانصب...، ثم ينتقل للضم مع الحروف كلها ثم الكسر، السكون، الشد، التنوين، والمد. كل ذلك يلحق للقداش سماعاً وينظر إليها في اللوحة بصرياً وينطق بها شفويّاً.

وأما الكتابة فلها هي الأخرى مراحل في الكتاب القرآني: فالمعلم هو الذي يكتب للتلميذ سوراً من القرآن في جهة من اللوحة ولمدة تقصر وتطول حسب استعداد الطفل وقدرته على الاستيعاب (انظر الشكل - ٢)، ثم تأتي مرحلة ثانية حيث يكتب المعلم سطوراً من القرآن بقلم^(١)

(١) يتراوح طول القلم بين ١٥ سم و ٢٠ سم وعرضه ١ سم ومساحة بريه والساقية الموجودة في البري مساحتها ٢ سم. وهذا القلم إذا كتب به على جهة البطن كانت الكتابة غليظة وإذا كتب به من ناحية الظهر كانت الكتابة رقيقة. والواقع أن التلميذ يحتاج إلى هذين الاستعمالين: فالأول يكون لكتابة الحروف والثاني يكون للشكل. غير أنه في =

رقيق من القصب على اللوح^(١)، والتلميذ يمر بقلمه الغليظ على ما كتبه المعلم مقلداً لخطه من دون علم بتلك الحروف، ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة حيث يكتب المعلم سطرًا ويترك سطرًا بدون كتابة، ثم يقوم التلميذ بنقل ما كتبه المعلم ويقلده في النقل باستعمال قلمه الذي يقوم بنقعه في دواة (محبرة) الصمغ^(٢)، والذي هو عبارة عن حبر خاص باللوح القرآني. وعندما يحفظ ما كتب على اللوح يقوم بمحوه وطلاء اللوح بمادة الصلصال^(٣) المساعد على الكتابة باستعمال الصمغ وقلم القصب.

وأما في المدارس القرآنية وحتى في الكتاتيب وخاصة في المدن

=المدارس القرآنية وبعض الكتاتيب أدخلت الأقلام التي نعرفها اليوم بجميع أنواعها، انظر عن ابن سحنون، مرجع سابق، ص ٧٣.

(١) الألواح قديمة يقدم الكتاب ويقوم النجار بتحضيرها على أشكال مختلفة في الطول والعرض: فالصغيرة منها ذات حجم ٢٠سم على ٢٠سم والكبيرة بحجم ٣٠ على ٥٠ سم. وينبغي أن يكون من لوحة واحدة مصقولة ومستقيمة صالحة للكتابة خفيفة الوزن. وهناك الألواح التي تحمل ثمن الحزب، وأخرى تحمل رבעه، كما أن هناك ألواحًا تحمل نصف الحزب، وهي قليلة، حسب تدرج المتعلمين في الحفظ. وفي العديد من الكتاتيب، خاصة في الحواضر، حلت الألواح البلاستيكية محل الألواح الخشبية. إلا أن المتعلم في الكتاب لا يمكنه الاستغناء عن اللوح الخشبي؛ لعدم محو ما يكتب عليه بسهولة إلا بعد غسله، انظر: السيوطي عبد الرحمن: الجامع الصغير، مطبعة محمد مصطفى - مصر، ط ١٠، ١٩٣٨، ج ٣، نقلًا عن التجاني نفس المرجع، ص ١٥.

(٢) والصمغ: عبارة عن حبر يصنعه التلاميذ في الكتاتيب من صوف الأغنام الملوطة بالعرق حيث يتم حرقها في إناء مع قليل من الماء حتى تصبح على شكل سائل أسود ثم توضع في محابر خاصة تسمى دواية.

(٣) الصلصال: مادة ترابية يابسة تستخرج من الأرض الصلصالية وتدهن بها اللوحة بعد الغسيل لتصبح بيضاء بحيث يظهر عليها لون الصمغ المحضر مما يسهل عملية القراءة.

فاستعمال هذه الوسائل أصبح من الماضي ليعوض بالأدوات المدرسية التي تستعمل في المدارس ورياض الأطفال، مثل: السبورة المتحركة، والكتاب الرقمي، والأقلام المتنوعة.

الشكل (٢): تلميذ يقرأ سورة من القرآن الكريم في لوحته



والهدف من هذه الطرق كلها تدريب التلميذ على كيفية إمساك القلم والتحكم فيه. صعودًا ونزولًا، مشيًا إلى الأمام والخلف، رفعه للتنقيط، رده للسطر وهكذا.

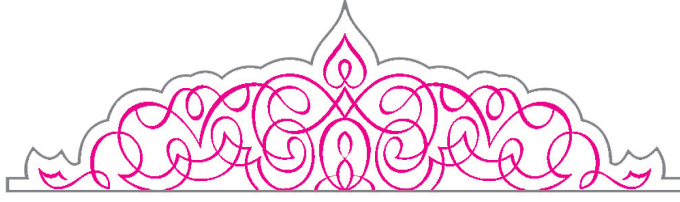
هذه الطريقة في تعليم الكتابة للأطفال الصغار معمول بها حتى عند الأوربيين كما يؤكد ذلك السكري نقلًا عن عالم البلاغة الإسبانيكوينتليانوس ماركوس فابيوس (Quintilianus Marcus Fabius): «يجب أن يبدأ الأطفال تعلم الكتابة بتسيير أقلامهم على آثار حروف تنقش لهم في الخشب، أو تعد على ألواح من الشمع، وأن ينقلوا من ذلك إلى تقليد النماذج التي تكتب لهم»^(١).

(١) السكري عبد الكريم: تدرج المذاهب في التربية ونزعة سبنسر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧، ص ١٣٨، نقلًا عن التجاني، مرجع سابق، ص ٣٩.

وفي المرحلة الرابعة يأتي دور التهججي، حيث يقوم التلميذ بتهجئة الكلمة التي يملئها عليه المعلم فيعدد حروفها، ويرجع عند كل حرف يريد كتابته إلى حروف الهجاء المكتوبة على اللوحة ويقوم بكتابة الحرف المعني بصورته وحركته وبنطقه إن كان يحمل نطقاً.

والواقع أن تعليم القراءة والكتابة للأطفال في الكتاتيب لم يكن مقصوداً لذاته وإنما حتى يتسنى لهم قراءة القرآن من المصحف وكتابته في اللوح دون أخطاء إملائية. وبعد مدة قد تصل إلى سنة أحياناً أو أقل، يكون التلميذ قد تعلم القراءة والكتابة والإملاء، وحفظ جزءاً من القرآن.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد: أنه في بعض المدارس القرآنية وكتاتيب الزوايا ما إن تمر على التلميذ سبع سنوات حتى يكون قد حفظ القرآن كاملاً، تجويداً ورسمًا. وأما في المدارس القرآنية فإن الأمر قد تغير بحيث أصبح يستعمل في العملية التعليمية نفس الطرق المستعملة في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية.



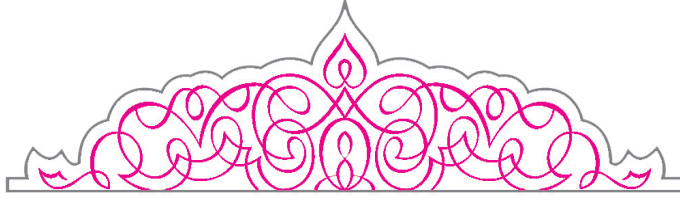
المناهج وطرق التدريس

إذا ما نظرنا إلى الطريقة المتبعة في غالبية الكتاتيب والمدارس القرآنية في الجزائر، فإننا نجد اختصار الطريقة التعليمية المتبعة على التلقين وعدم استخدام وسائل التعليم والتعلم الحديثة وعدم مراعاة الفهم والاكتفاء بالحفظ. والحفظ دون فهم قد يؤدي إلى إساءة غير مقصودة للهدف من حفظ القرآن الكريم، فلا شك أن الغاية من حفظ القرآن وتعلمه هي تأمل ما جاء فيه من أحكام وأوامر ونواه وتطبيقها، ولن يتأتى ذلك إلا بفهم معانيه.

وإذا ما نظرنا إلى الشروط التربوية في التعليم، فإننا نجدها مفقودة أو تكاد في غالبية الكتاتيب: فمعلم القرآن وانطلاقاً من كونه يتقاضى راتباً شهرياً فهو يرغب إذاً في أن يكون عنده عدد أكبر من الأطفال حتى يزداد دخله، وبالتالي فإنه لا يستطيع أن يراعي العدد الذي لا يجب أن يتجاوز ٣٠ طفلاً في كل صف. من جهة أخرى معلم الكتاب لا يراعي سن التلاميذ؛ لأن تعليمه يقوم على أساس تعليم كل فرد على حدة، فلا يكاد يتفق اثنان في سورة قرآنية واحدة، وإن اتفقا مرة فسيفترقان بعدها لا محال، لأن المعلم يعطي الحرية التامة لتلامذته في الحفظ وعدم التقيد بالمجموعة، بل كل من حفظ لوحته يمكن له أن يمحوها ويكتب

سورة جديدة. وضعية كهذه تحتم على المعلم أن يسيطر عليها ويتلاءم معها حتى يتمكن من تلبية حاجة تلاميذه وإرضاء أوليائهم.

ولكن ما مدى قدرة المعلم القرآني على تحقيق ذلك؟ من الصعوبة بمكان تحقيق سيطرة كاملة، ومن ثمة يلجأ كثير من المعلمين وخاصة في القرى إلى العقاب بواسطة العصا.



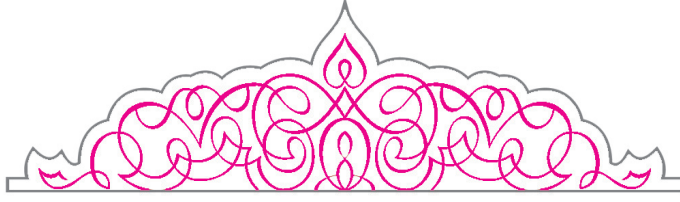
المعلم القرآني

المعلم هو الأداة الفاعلة في المنظومة التربوية بصفة عامة ومن ضمنها المنظومة القرآنية، وعليه فمهما وضعت من مناهج متقنة وهيئت من ظروف ملائمة ووفرت من وسائل، كل ذلك لا يغني عن الأداة الفاعلة في العملية التعليمية، وهو المعلم الكفاء، لأن عناصر التعليم قد تكون متوفرة، لكنها تصبح غير فعالة على يد المعلم غير المؤهل. وعمومًا يشترط في معلم الكتاب والزوايا أن يكون حافظًا للقرآن كله وعن ظهر قلب، وأما في المدارس القرآنية فيضاف إلى هذا الشرط معرفة بعض الأحكام القرآنية التي تتعلق بالرسم القرآني والتجويد وبعض المبادئ في الفقه، وأيضًا بعض المعارف العامة.

وفي الوقت الحاضر، لا نجد سعة الاطلاع والتنوع الثقافي لدى غالبية معلمي المنظومة القرآنية في الجزائر ليس في القرى وحسب، بل في الحواضر أيضًا. وعليه إذا ما أريد لهذه المنظومة أن تكون في مستوى المأمول منها، وأيضًا أن تكون في وضع يؤهلها لرفع التحديات التي يشهدها العالم المعاصر، يجب التركيز على المعلم القرآني، على اعتباره العنصر الأهم في أي منظومة تعليمية، وتزداد هذه الأهمية في منظومة التعليم القرآني، وذلك بإخضاع المرشحين للتعليم إلى عملية

تكوين صارمة، بمعنى أن يكون المعلم القرآني ملماً بعديد المعارف والتخصصات.

من خلال ما تقدم يمكننا القول باختصار أن التعليم في الكتابات القرآنية يغلب عليه الطابع التقليدي، ومن ثمة إذا ما أردنا أن نغير من هذا الواقع وبالتالي النهوض بهذه الكتابات وتفعيل دورها فلا بد من القيام بإصلاح عام يمس جميع ما يخص بيئة المنظومة القرآنية.



آليات تفعيل التعليم

في الكتاتيب والمدارس القرآنية

الكتاتيب القرآنية كانت ولا تزال أحد الروافد المهمة للعلم والمعرفة في المجتمعات العربية والإسلامية. لكن هذا النوع من التعليم عرف نوعاً من التراجع النسبي من حيث كثرة رواده وضعف المتخصصين في التدريس فيه من حيث عدم مواكبتهم للتطور الحاصلة في مجال التربية والتعليم.

وحتى تؤدي هذه المنظومة دورها وتستطيع بالتالي مواكبة تطور العصر وتطور الإنسان، فلا بد من الأخذ بعين الاعتبار حزمة من الأمور تتعلق ببيئة المنظومة القرآنية ضمن الحفاظ على خصوصيتها، وتشمل:

١ - تطوير الهياكل التعليمية:

إذا انطلقنا من الواقع الذي نعيشه، تبين لنا أن الكتاتيب موجودة في حياتنا وأن أثرها واقع على الغالبية العظمى من الجزائريين. وهي عبارة عن بيوت هيئت أو خصصت لهذا الغرض أو المساجد نفسها يؤخذ منها محل تابع لها أو مكان الصلاة نفسه في غير وقت الصلاة، وخصوصاً

في بعض البوادي أو بيوت المعلمين أنفسهم في بعض الأحيان، فهي إذن أماكن قد تكون صالحة للتعليم وقد لا تكون. وفي الوقت الحالي، بدأ النظر يتغير إلى هذا الموضوع، حيث بدأ يتم بناء الكتاتيب والمدارس القرآنية مع بناء المساجد الجديدة وهو شرط أساسي للحصول على رخصة البناء التي تمنحها الوزارة أو الإدارة الوصية.

وأهمية هذا العنصر والذي يسمى أيضًا الفضاء التعليمي تكمن في كونه المكان الذي يجلس فيه المتعلمون ساعات طويلة لتلقي القرآن الكريم حفظًا وفهمًا وسلوكًا، وهو مكان إن لم تتوفر فيه شروط السلامة والصحة والترغيب في الاستمرار، فإن المغادرة المبكرة ستكون الميزة الأساسية.

وباختصار، يمكن القول أنه من العوامل المؤثرة في نجاح العملية التعليمية في الكتاتيب والمدارس القرآنية، الفضاء التعليمي الحديث والنظيف والمجهز بما أمكن من وسائل التكنولوجيا الحديثة، بمعنى أن التطوير يستلزم أن تصبح مؤسسات المنظومة القرآنية فضاءات تستجيب لتنوع الفعل التعليمي ومتطلبات إنجازه.

ولكن كل ذلك يبقى نجاحه مرهونًا بتوفير المورد المالي: فأي عملية إصلاح وتطوير لن يكتب لها التقدم والنجاح ما لم يول هذا الأمر حقه من الاهتمام والبحث والسعي في تحصيله وتنميته. وكم هي المشاريع الإصلاحية والتربوية التي تتأخر وتتعثر وتضعف بل وبعضها لا يبصر النور بسبب انعدام الموارد المالية.

٢ - تطوير المناهج التعليمية :

تختلف أساليب التعليم من كتاب إلى آخر حسب البيئة ومستوى ثقافة المعلم، حيث يجلس المعلم على الأرض في مواجهة المتعلمين الذين يجلسون أمامه في صفوف منتظمة على شكل حلقات. ومن الأمور التي تؤخذ على هذا المنهج، اعتماده على وسائل تقليدية تقوم على الحفظ دون الفهم، مما ينتج عنه قطيعة بين تلاوة القرآن وتدبره، ويلغي بالتالي البعد العملي في تعاليم الإسلام، بمعنى عدم ربط القرآن بالحياة اليومية وسلوك الأفراد، يضاف إلى ذلك النقص الملاحظ في تنوع المواد المدرسة: فالنص القرآني وحده لا يكفي لتحقيق تكوين شامل ومتوازن لدى الناشئ. ويضاف إلى كل هذا انفصال التعليم بالكتاتيب عن العمل المنتج والحياة المهنية.

وعليه، إذا ما أريد لهذه المنظومة أن تؤدي رسالتها بفاعلية، يصبح من الضروري تطوير أساليب التعليم بها.

ويشمل التطوير المسائل التالية :

*** طرق التلقين والتحفيظ :** هذه الطريقة التقليدية تحتاج إلى تجديد :

فاللوحة الخشبية أعطت الكثير لأبناء الكتاتيب ولن يتوقف عطاؤها وصلاحياتها، لكن يمكن الاستفادة من وسائل معاصرة، ولم لا...؟ تكون السبورة المتحركة، الكراريس والأقلام، وهي بدون شك أدوات تساعد التلميذ على اكتساب الخط وتعلم الكتابة.

وفي هذا يمكن الاستعانة بكل ما أنجز من برامج معينة في الموضوع، وأقراص ومطبوعات وأيضاً بالكثير من الوسائل السمعية

والبصرية التي يستخدمها اليوم معلمو القرآن الكريم في العالم الإسلامي وفي مختلف المراحل التعليمية^(١).

*** ضرورة الربط بين التربية والتعليم:** الربط بين التربية والتعليم مبدأ تربوي أصيل في الإسلام، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾^(٢) وأيضاً ما يقوله الإمام الغزالي: «ومن اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً فليحفظ آدابه ووظائفه»^(٣).

ولهذا كانت عناية العلماء المجددين بالتربية والتعليم كبيرة، وأيضاً حرصهم على الإشراف المباشر على مؤسساتهم التعليمية من أجل ضمان مراقبتها، ولتأكيد أهمية الربط بين التربية والتعليم قال الإمام الشافعي فيما يؤثر عنه شعراً:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي لعاصي

وقد أفرد ابن خلدون فصلاً في مقدمته حول تعليم الولدان القرآن الكريم، حيث يقول: «اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى

(١) انظر: محمد يحيى الطاهر غادة: رؤية منهجية لتدريس القرآن الكريم، ط. ١، ١٤٢٤هـ وأيضاً الزعبلأوي محمد: طرق تدريس القرآن الكريم، ط. ٢، مكتبة التوبة، الرياض ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة البقرة: الآية، ٢٨٢.

(٣) الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين، بيروت ج ١، ص ٥٥، نقلاً عن مهدي ساتي صالح: «المكونات والأسس التربوية لبعض حركات التصحيح الإسلامية.. في إفريقية جنوب الصحراء»، مجلة دراسات قراءات إفريقية، أبريل ٢٠١٤، متوفر على الموقع الإلكتروني: <http://www.qiraatafrican.com/view/?q=1629>

القلوب من رسوخ الإيمان، وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات، وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده»^(١).

*** تدبر المحفوظ :** وهذا موضوع لا يجب الاستهانة به، إذ من غير المفيد أن يتخرج حافظ لكتاب الله حفظاً متقناً دون أن يكون له علم بآياته وشرح لمعانيه. وقد حث القرآن الكريم البشرية على تدبره وفهمه والاتعاظ بما جاء فيه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾^(٢)، كما وصف الذين لا يتدبرونه بأن قلوبهم مقفلة فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٣).

وعليه فتدبر القرآن الكريم يحتاج إلى الانفتاح والتفاعل مع ما جاء فيه: فالقرآن ميسر للتدبر والفهم، وقد نزل باللغة العربية المفهومة بالنسبة للعرب وصرف فيه من الأخبار والأمثال والوعود والوعيد ما أحاط بكل شيء ويكفي لتعليم الإنسان وتربيته قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٤).

وهذا ما يدفع إلى القول بضرورة ربط الحفظ بالفهم والتدبر، وهي معادلة إن تم استيعابها من طرف معلمي القرآن الكريم سينتج عنها

(١) ابن خلدون، مرجع سابق، ص ٥٣٧، ٥٣٨.

(٢) سورة النساء: الآية، ٨٢.

(٣) سورة محمد: الآية، ٢٤.

(٤) سورة الزخرف: الآية، ٣٠.

تخريج حفظة يفهمون ما يحفظون ولا يجدون صعوبة في العمل بما يفهمون، بل وحسن تبليغه إن فتح لهم مجال التبليغ أو اقتحموه^(١).

*** ضرورة ربط العلم بالعمل :** وهذا من التجديد، وهو مما يعاب على أغلب خريجي الكتاتيب القرآنية، إذ الهدف في نظر معلمهم وفي نظر آبائهم هو الحفظ ثم الحفظ، وهذا غير كاف، إذ ينبغي تغيير الأهداف المسطرة في الكتاتيب وقبلها عند المشرفين على إدارتها، لأنه بدون ربط المتعلمين بالعمل بما تعلموه، ستنجح العملية التعليمية أفراداً يحفظون أموراً يخالفونها تطبيقاً وممارسة. ومن ثمة يصبح ضرورياً التركيز على تقديم خدمة عالية الجودة لمكونات المجتمع بما فيها سوق العمل، إذ من المطلوب نتاج منتج تعليمي ملائم لما هو مطلوب في سوق العمل أو لما هو في المجتمع^(٢).

*** ضرورة إجراء التقويم ومنح الشهادات :** يمنح المتعلمون في مؤسسات المنظومة القرآنية الشهادات التي يستحقونها استناداً إلى معايير ومؤشرات موضوعية وشفافة حفاظاً على مصداقية المنظومة والمؤسسات المكونة لها.

٣ - تطوير قدرات المعلم القرآني تربوياً، ومنهجياً، وتعليمياً :

إن المنظومة التعليمية في أي بلد كان تعكس طموحات مجتمع، وتكرس اختيارات شعب من الناحية الثقافية والسياسية والاجتماعية

(١) العمراني، مرجع سابق.

(٢) محمد بن فاطمة، إشكاليات الإصلاحات التربوية، متوفر على الموقع الإلكتروني:

وتحاول أن توجد النظام الملائم لتنشئة الأجيال تنشئة اجتماعية سليمة، وكل هذا يتوقف على المعلم بدرجة أولى باعتباره حلقة من الحلقات الأساسية في هذه المنظومة وهو العنصر الحي فيها، فثقافة ووعي المعلم وتكوينه الجاد وحرصه على مسايرة التطورات الحديثة الحاصلة في ميدان التربية والتعليم عامل أساسي ومهم في نجاح المنظومة التعليمية قرآنية كانت أم غير قرآنية؛ ذلك لأن ضعف التكوين في الجانب النفسي والبيداغوجي لدى المعلم يجعله غير قادر على مسايرة الأحداث في العملية التعليمية وهذا ما يؤدي إلى فشل المنظومة التعليمية القرآنية في أداء مهامها وتحقيق أهدافها.

ومن هنا كان الإلحاح كبيراً على ضرورة الاعتناء باختيار وتوفير العنصر البشري المؤهل والفعال، وإن كانت بعض الكتاتيب والمدارس القرآنية لا تخلو من نخب فعالة تؤدي دورها على بصيرة، فإن ما يلاحظ على العديد ممن انبرى للتعليم القرآني ضعف التكوين العلمي، البيداغوجي والمنهجي. وإذا كان المعلم قليل العلم وغير مطلع على المناهج التربوية، فإن ذلك سينعكس سلباً على أساليب التعليم ومضامينه ومخرجاته.

وبما أن المعلم عنصر فاعل في أي عملية تعليمية، فينبغي الاهتمام بوضعيته ومكانته ومؤهلاته. ولن يكون ذلك ممكناً إلا بمراعاة المقومات التالية:

٣ - ١ - المقومات العلمية:

* الإلمام بأساسيات العلوم الشرعية: ينبغي لمعلم القرآن الكريم أن

يطلب العلم الشرعي ويتفقه في الدين ولا يقتصر على حفظ اللفظ المجرد للقرآن الكريم. ويعد مثل هذا الإلمام مطلباً مهماً من مطالب التأهل للتعليم في الكتاب القرآني؛ لأن إيصال العلم بأمانة للآخرين متوقف على التأسيس المتين والفهم السليم لأسس ومبادئ العلم المتخصص فيه، فأهل كل علم وأرباب كل صنعة أدرى به من غيره، وقديماً قال الإمام مالك: «كل علم يسأل عنه أهله».

*** الإلمام باللغة العربية وقواعدها:** إنَّ حاجة معلم القرآن الكريم إلى اللغة والنحو لمن أجلِّ الأمور التي يجب أن يحرص عليها، إذ أنَّ القرآن نزل بلسان عربي مبين، ومن ثمَّ كان لازماً على مستعملها معرفة علامات الإعراب حتى لا يقع في الأخطاء اللغوية، وقد وردت آثار عديدة في الحث على تعلمها والحرص على طلبها، من ذلك ما ثبت عن عمر رضي الله عنه في كتابه لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «تعلموا العربية، وتفقهوا في العربية»^(١)، ومن جهته يرى ابن الجزري أن النحو والصرف من أهم ما يحتاج إليهما قارئ القرآن ومعلمه^(٢).

وعليه فحري بمعلم القرآن أن يتقن اللغة العربية وعلومها ويدرب طلابه عليها، وكل ذلك يساعد على تفعيل العملية التعليمية في مؤسسات المنظومة القرآنية كتاتيب ومدارس وحلقات.

*** الإلمام بقواعد التجويد:** ومن أهم أركان التجويد التي يتطلب من

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١٣٢، ١١٣٣.

(٢) ابن الجزري: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ، ص ٥١، ٥٠.

المعلم معرفتها وإتقانها، مخارج الحروف، وذلك لأن الحروف أصل الكلام كله وعليها مدار تأليفه، ومن ثم من يقرأ القرآن ولم يتقن مخارج الحروف، لم يقف على الخلل الواقع فيها ولم يهتد إلى تجويد القراءة.

٣ - ٢ - المقومات المنهجية والتربوية:

*** الممارسة وفق رؤية منهجية:** ويتطلب ذلك من المعلم القرآني باكتساب المناهج التعليمية وتحديد المعارف والمهارات والقيم مع الأخذ في الاعتبار حاجات المتعلم وحاجات البيئة المحيطة وحاجات سوق العمل، وفق نسق تعليمي يقوم على التكامل بين النظري والعملي وعلى اختيار الطرائق التي تتمحور حول المتعلم، كونه محور العملية التعليمية في الكتاب أو المدرسة القرآنية.

*** التدرج في التعليم:** البدء بتعليم الأصول والكليات قبل الفروع والجزئيات، يعد السلم السوي في مراتب التعليم، وأدعى لثبات العلم ورسوخه لدى المتعلم. وقد قرر المنهج النبوي هذه الطريقة في التعليم، فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فإزدنا به إيماناً»^(١). وانطلاقاً من هذا المبدأ يجب على المعلم في الكتاب أو المدرسة القرآنية أن يكون حكيماً في تعليمه، متفهماً لما يعطيه، أي البدء بالقضايا الواضحة السهلة قبل المسائل الدقيقة والمعقدة.

والمواقع أن مسألة التدرج قاعدة تربوية قرآنية، حيث إن القرآن نفسه

(١) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.

نزل على مكث، ونحن في حاجة إلى فهمه في فترات زمنية متلاحقة من أعمارنا وأجيالنا المقبلة حتى نسبر أغواره، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾^(١).

وفي ضوء ما سبق يتعين على المعلم القرآني استخدام أسلوب التدرج في التعليم، وذلك لأن الوصول بالمتعلم إلى الهدف لا يتم إلا بالتدرج وأي استعجال في التعليم في الصف أو في الحلقات، دون مراعاة هذه القاعدة يعني الإخفاق في تحقيق الأهداف التعليمية المبتغاة^(٢).

* مراعاة الفروق الفردية وتكافؤ الفرص بين الطلاب:

العملية التربوية تحتاج إلى اهتمام بالغ في مراعاة تمايز الطلاب في القدرة على الاستيعاب، التلقي، الفهم والحفظ. وهذا الأصل التربوي له امتداده في التربية الإسلامية: فمعلم البشرية ﷺ كان شديد المراعاة لهذا المبدأ بين المتعلمين، حيث كان يخاطب كل واحد بقدر إمكاناته العقلية والفكرية.

والممارس لمهنة التعليم والتعليم القرآني يلحظ فروقاً ظاهرة بين الطلاب في القدرة على الحفظ والفهم، وهي ميزة من مميزات المعلم الناجح.

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

(٢) الزهراني علي بن إبراهيم: مهارات التدريس في الحلقات القرآنية، ط. ١، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر، ١٤١٨هـ، ص ٢٢٢.

* الاستفادة من الوسائل والتقنيات الحديثة :

من غير المعقول نكران دور الوسائل التقليدية القديمة : اللوحة والقلم والدواة وما حققته ولا زالت تحققه، لكن ليس بالضرورة أن نقف عندها ولا نتجاوزها لوسائل أخرى تساعد على بلوغ الأهداف وبنجاح. ولكن السؤال المطروح : هل استفادت الكتابات القرآنية خاصة المدارس القرآنية من مستجدات العصر؟

إن نظرة متفحصة لواقع المنظومة القرآنية اليوم، يظهر مواضع الخلل، التي تحتاج إلى معالجة، وتتمثل في :

- ضعف تكوين معلمي القرآن : فكثير منهم لا يعرفون عن الأساليب التربوية والتعليمية شيئاً يذكر، وغالبهم يدرس بأسلوب التلقين القديم، وربما استخدم العنف والعصا لإجبار الطفل على الحفظ، ومن مظاهر القصور أيضاً عدم استخدام المعلمين للوسائل التعليمية الحديثة في تعليم القرآن كالمعامل الصوتية، وأجهزة الحاسوب المبرمجة ببرامج القرآن الكريم : فينتج عن ذلك أن المتخرج يصبح معزولاً عن واقعه التقني والعلمي، ولا يعرف عن تلك الوسائل التعليمية الحديثة شيئاً ولا يحسن التعامل معها أو استخدامها.

إن الوسائل والتقنيات الحديثة تعد من الأمور المهمة في توفير الوقت والجهد ويمكن استغلالها في المنظومة القرآنية بما يسهم في تفعيل العملية التعليمية وذلك من خلال^(١) :

(١) محمد الشيخ طلحاوي : عصرنة الوسائل وتطوير الأساليب وأهميته في نجاح التعليم القرآني، الملتقى الوطني حول طرق التدريس ومناهج التعليم القرآني الواقع والآفاق، إلبزي، ٢٦ و ٢٧ ربيع الثاني ١٤٣٣هـ الموافق لـ ١٩ و ٢٠ مارس ٢٠١٢.

- عدم الاستفادة من الوسائل الصوتية والمرئية في إعداد برامج تناسب جميع فئات المجتمع وتوضح لهم كيفية القراءة الصحيحة لكتاب الله عز وجل وفضائل القرآن وسوره.

- عدم الاستعانة بأشرطة مصورة توضح للمتعلم الأحكام التجويدية والكيفية الصحيحة في نطقها وتدعم بالمصحف الذي يستخدم الألوان في توضيح الأحكام.



مشروع تطوير منظومة

التعليم القرآني في الجزائر

لقد أضحى إدخال إصلاح واسع النطاق على المنظومة التعليمية القرآنية بمؤسساتها المختلفة ضرورياً سواء بسبب واقع هذه المنظومة الذي لم يشهد أي نوع من الإصلاح منذ الاستقلال أو بسبب التحولات التي طرأت على الصعيدين الوطني والدولي، وعليه فإن البرامج الثرية والمتوازنة والعصرية التي تستمد أسسها من قيم المجتمع وتأخذ بعين الاعتبار التطورات الحاصلة في مجال العلم والمعرفة كفيلة وحدها بأن تجعل من الكتاب والمدرسة القرآنية فضاء لتعلم القرآن الكريم، وأيضاً المعارف الأخرى ومن إعادة بناء المسار التعليمي الكفيل بإعداد الفرد المحرك الحقيقي للتغيير، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (١).

والواقع أنه قبل الشروع في طرح مشروع من هذا الحجم ويمس قطاعاً حساساً كقطاع التعليم القرآني، كان ينبغي أن يفتح نقاشاً يتجاوز أروقة وزارة الأوقاف لتحسيس المجتمع والاستماع لآراء مختلف

(١) سورة، الرعد الآية: ١١.

الشرائح بهدف إثراء المشروع وإعطائه بعداً وطنياً. الأمر الذي لم يحدث وإن حدث فكان على نطاق ضيق، باستثناء بعض المقابلات، والمقالات في بعض الصحف وبعض المواقع الإلكترونية.

إن عدم الإدراك لأهمية تنظيم استشارة كبرى وتعبئة الوسط التربوي والاجتماعي والتعريف بمختلف التجارب، ونشر وتعميم المبادرات والممارسات الناجحة والفعالة، لمن شأنه أن يعمق الفارق بين طموحات ورهانات الإصلاح والنتائج المحققة ميدانياً.

وبالرغم من ذلك تعتبر الخطوة مهمة وضرورية وتستحق التشجيع والمساندة، لأن قطاع التعليم القرآني يحتاج وبصفة استعجالية إلى عملية إصلاح عميقة وشاملة. ومن ثمة يجب قراءة مبادرة وزارة الأوقاف قراءة إيجابية كونها نابعة من الإرادة السياسية في عصرنة المنظومة القرآنية والسمو بها وتفعيل أدائها.

١ - أهمية المشروع :

تحدد أهمية المشروع في النقاط التالية :

- الإرادة المعلنة للدولة في أن المنظومة القرآنية شأنها شأن منظومة التربية والتكوين تشكل إحدى الأولويات الهامة لما تكتسيه من أهمية جوهرية في تكوين مورد بشري وطني يفيد الأمة الجزائرية من إيجابيات التربية والتكوين الذي يعد شرطاً أساسياً للتنمية والتنمية المستدامة.

- الحرص الدائم للوصايا على ضمان تكوين نوعي للتلاميذ وتحسين نتائجهم والرفع من فعالية الكتابات والمدارس القرآنية، عن طريق إعادة النظر في المضامين البيداغوجية والمناهج التعليمية.

- تجسيد هذا الإصلاح يجب أن يسمح بإحداث قطيعة مع الممارسات القديمة المستعملة في الميدان التعليمي مع السهر على الحفاظ وتعزيز بعض الجوانب الإيجابية في النظام التعليمي التقليدي.

- وقف الاحتكار العمومي لقطاع المنظومة التعليمية القرآنية، مما يعني فتح حرية العمل في هذا المجال للقطاع الخاص في ظل احترام أحكام الأمر رقم ٠٥ - ٠٧ المؤرخ في ١٨ أوت ٢٠٠٥ المحدد للقواعد التي تدير التعليم والتكوين في المؤسسات الخاصة.

٢ - الأبعاد والخلفيات :

على الرغم من أنها تابعة لوزارة الشؤون الدينية، إلا أن المدارس القرآنية لا تكاد تختلف عن الكتاتيب من حيث عدم قدرتها على مواكبة التطورات الحاصلة، وأداء الدور المنوط بها وأيضاً عدم قدرتها على منافسة دور الحضانة والمدارس القرآنية التابعة للجمعيات الأهلية.

ومن أجل ذلك تمّ تنصيب لجنة خبراء تربويين وخبراء في الشريعة متكونة من ٢٨ خبيراً لدراسة الموضوع في مدة ٧ أشهر وتقديم مشروع «منظومة تعليم قرآني شاملة في الجزائر». وعند الانتهاء من عملها تقدم مشروعها للوزير المعني للمصادقة عليه.

وبدون شك وفي حالة التطبيق الفعلي لنتائج عمل اللجنة سيشهد القطاع العديد من الإصلاحات المهمة وفي مقدمتها إعادة تقنين القطاع وتنظيمه بهدف القضاء على ما تعتبره «الفوضى التشريعية» ومنح

شهادات للطلبة تحدد بدقة مستوى كل طالب بناء على ما حفظه من القرآن، وستكون الشهادات رسمية معترفًا بها تخوّل لصاحبها الترشح بها لمسابقات الإمامة والتكوين الديني في المعاهد وغيرها من التخصصات، وأيضًا إدخال التقنيات التكنولوجية الحديثة إلى هذه المدارس.

والجدير بالذكر أن وزارة الأوقاف اشترطت على الجمعيات الدينية التي تقدمت إليها بطلب الموافقة على بناء مساجد جديدة، ضرورة أن يشمل أيُّ مسجد جديد مدرسةً قرآنية، علمًا أن هناك ٣ آلاف مشروع مسجد، مما يعني تشييد ٣ آلاف مدرسة قرآنية قادمة لتعزيز الموجود حاليًا.

لقد أدى انتشار رياض الأطفال والمدارس التحضيرية العصرية إلى تراجع الإقبال على المدارس القرآنية بالجزائر في السنوات الأخيرة، لاعتقاد بعض الأولياء أن المدارس التحضيرية أفضل لإعداد أبنائهم للدراسة، غير أن هذه النظرة قد تغيرت: فالكثير من الآباء صاروا يفضلون إرسال أبنائهم إلى المدارس القرآنية، في القرى والمدن على السواء، وهذا لإدراكهم لدورها الكبير في إتقان أطفالهم اللغة العربية واكتساب قاعدة لغوية متينة لا يمكن أن تقدمها المدارس التحضيرية، فضلًا عن تعلمهم قواعد ومبادئ الدين الحنيف.

غير أن هناك من أعرب عن تخوفه من أن يكون التشريع المرتقب نتيجة الضغوط الغربية على الدول العربية والإسلامية لتغيير مناهج الدين الإسلامي التي تدرس فيها، وأن يتسبب في فرض قيود على المدارس القرآنية، وهو ما نفتته الحكومة على لسان المستشار الإعلامي لوزير الأوقاف: «إنه تم تشكيل لجنة على مستوى الوزارة لصياغة المشروع»

مضيفاً أنه: «إذا تمت صياغته كمرسوم حكومي فسيعرض على الحكومة للموافقة عليه، أما إذا تمت صياغته كنص قانوني فإنه سيعرض على البرلمان».

وفيما يتعلق بالمخاوف التي أبدتها عدد من المهتمين بالتعليم القرآني لناحية التضيق على هذا التعليم، أكد المسؤولون: «أن التشريع لا يحمل أي نية للتضييق على نشاط المدارس القرآنية المنتشرة عبر التراب الجزائري بقدر ما يسعى إلى إعادة تنظيم القطاع الذي يعيش حالة متقدمة من الفوضى، وعليه فالدافع لصياغة هذه المنظومة القانونية هو افتقار هذه المؤسسات لقانون ينظم سير عملها».

٣ - المضمون والأهداف:

وحول البنود المرتقبة في التشريع، أوضح وزير الأوقاف أن: «اللجنة ستطرق إلى كافة الجوانب التنظيمية لمؤسسات التعليم القرآني فيما يتعلق باعتماد وتشكيل هذه المؤسسات، كما تتطلع الوزارة لإدخال أحدث التقنيات إلى المدارس المتخصصة في تحفيظ القرآن الكريم وإنشاء مدارس قرآنية تتبع أحدث الطرق العلمية في التعليم القرآني مع تجهيزها بالإنترنت»، كما أشار إلى أن التشريع الجديد يعتزم توحيد البرامج التي يدرسها الطلاب والشهادات الممنوحة من هذه المدارس على مستوى التراب الجزائري، بخلاف المعمول به حالياً.

وأما في المجال التربوي فيهدف إصلاح المنهاج التربوي لمنظومة التعليم القرآني الجزائرية، لأن يضع بين يدي معلمي الكتاتيب والمدارس القرآنية وصفاً شاملاً ودقيقاً لتعليمية القرآن الكريم بجميع

مكوناته، ويرسم لهم معالم منهجية مساعدة على نجاح عملية التحفيظ، ويقدم لهم عرضاً تربوياً متكاملًا وفق ما هو معمول به في الأدبيات التربوية الحديثة، كفيلاً أن يحقق الأهداف المتوخاة منه في إنجاح عملية تعليم القرآن الكريم في هذه المنظومة والرفع من مردوديتها كمًّا وكيفًا، للوصول إلى تخريج إطارات متقنة لكتاب الله حفظًا وأداءً ورسمًا وضبطًا، متسلحة بالعلم الشرعي واللساني، محبة لدينها ووطنها وأمتها، ومنفتحة على معارف وتقنيات العصر.

ومشروع الإصلاح والتطوير هذا يأتي، كما أكد المسؤول الإعلامي في وزارة الأوقاف، كخطوة مهمة من أجل ملء الفراغ القانوني الذي ساد منظومة التعليم القرآني في الجزائر منذ الاستقلال، حيث كانت طريقة تعليم القرآن الحكيم غير مقننة يغيب عنها وجود منهج تربوي موحد، الأمر الذي أصبح يقتضي تحديد مناهج وبرامج موحدة على مستوى المدارس القرآنية الوطنية التي يبلغ عددها ٦٠٠٠ مدرسة قرآنية يؤمها نصف مليون طالب. ويضيف في هذا البرنامج «مراعاة المستوى الفكري للطفل المتلقي مع تحديد الشروط الواجب توافرها في المدرسين وكذا مسألة التوقيت وهيكله هذه المرافق التعليمية إضافة إلى إضفاء صفة الرسمية على الشهادات المقدمة للطلاب على غرار تلك التي يقدمها التعليم العام»^(١).

وبخصوص تطوير المناهج وطرق التدريس فالمشروع يهدف أساسًا إلى إنتاج وثائق تربوية مؤطرة لعملية التدريس، تستجيب للعناصر

المعتمدة في بناء المنهاج المدرسية الحديثة (المنطلقات والأهداف، البرامج الدراسية، معايير اختيار المقررات الدراسية، منهجيات التدريس، الوسائل التعليمية، الأنشطة التربوية، التقويم والشهادات) مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار خصوصية التعليم القرآني.

٤ - التطبيق على أرض الواقع وإكراهاته :

إن منظومة التعليم القرآني، رغم المخاوف التي تم التعبير عنها والتي تعبر عن حرص هؤلاء على هذه المنظومة وأهميتها البالغة بالنسبة للمجتمع الجزائري، الذي لدغ في السابق بإلغاء منظومة التعليم الأصلي رغم النجاحات التي حققتها، إلا أن هذه المنظومة بحاجة إلى إصلاح لتساير تطور المجتمع وأيضاً التطورات الحاصلة في المجال العلمي والتكنولوجي، سيما وأن الإصلاح والتطوير والتحديث في المنظومة القرآنية الحكومية وغير الحكومية قد أعطى نتائج باهرة. ومن جهة أخرى وبناء على ما يدلي به المشرفون على المدارس القرآنية العصرية، وأيضاً المعلمون في المدارس الابتدائية أن الأطفال الذين يدخلون السنة الأولى من التعليم الابتدائي، ينطلقون في مسيرتهم الدراسية انطلاقاً متفاوتة، إذ أن أولئك الذين سبق لهم أن استفادوا من التعليم القرآني، يتوفرون على فرص كبيرة للنجاح في المدرسة وفي الحياة الاجتماعية.

وفي هذا الإطار، يمكن إجمال أهم الدروس والعبر، التي يجب أن توجه وتؤطر كل تفكير مرتقب في شأن الإصلاح، وفق مستويين^(١) :

(١) عبد العزيز سنهجي: سؤال الإصلاح التربوي.. دروس وعبر، ٢٠١٣، متوفر على

يتعلق الأول بالمستوى النظري الاستراتيجي، حيث إن الإصلاح الناجح هو الذي يستند إلى منظور شامل ومتكامل، متقاسم بين مختلف الشرائح والفعاليات والتنظيمات الجماعية، يضع الإصلاح في إطاره الاجتماعي العام بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والثقافية... مؤطر بمقاربة إجرائية توجه التفكير والفعل في تنفيذ مقتضيات الإصلاح بشكل متبصر ومنسجم مع التحولات الوطنية والدولية، يشتغل وفق نماذج تعتمد منطق الاحتواء والتجاوز، تهيئة للتراكم وترسيخًا للاستمرارية وحفاظًا على الإنجازات والمكتسبات وتصديًا للاختلالات. وأما الثاني فيخص المستوى الإجرائي الميداني، حيث إن عمليات وضع الإصلاح موضع التنفيذ، تقتضي مراعاة إكراهات وخصوصيات الواقع والعمل على تدليلها واستيعابها عبر توفير شروط وضمانات نجاح الإصلاح، وذلك عبر التخطيط العقلاني لكيفيات التنفيذ وتتبع وتقويم الإنجاز على مختلف المستويات، وتدقيق الالتزامات، وتحديد المسؤوليات، والحرص المتواصل على القيام بما يلزم من تعبئة وتحسيس، وإعداد نفسي وقانوني، وتكوين مستمر، والعمل على حفز الموارد البشرية قصد دفعها للانخراط بفعالية في تجسد روح الإصلاح، باعتبارها الركيزة الأساسية في النجاح أو الإخفاق.

ومما سبق يمكننا القول، ورغم عديد التحفظات من هذه الجهة أو تلك، إلا أن إصلاح المنظومة التربوية القرآنية يعد مشروعًا على درجة كبيرة من الأهمية، لكن بشرط ألا نجد أنفسنا، كما هو الشأن بالنسبة للإصلاحات في مجال المنظومة التربوية الوطنية، نعيد طرح نفس التساؤلات حول التعثرات والإخفاقات التي آلت إليها معظم

الإصلاحات منذ الاستقلال عام ١٩٦٢ في المجال التربوي وغيره من المجالات، وفي كل مرة نجد أنفسنا نخطو خطوة إلى الأمام لتراجع خطوتين إلى الخلف في مسار الإصلاح والتجديد. ولحد اليوم، لم نفلح دولة ومجتمعاً في بناء ذاكرة خاصة بالإصلاح توثق لمختلف المكتسبات والإنجازات والاختلالات وتسعفنا في انتقاء النموذج التربوي الفعال، الذي يليق بتحديات القرن الحالي ويستجيب لتطلعات المجتمع الجزائري.

وبالرغم من الخبرة الطويلة في ممارسة تمارين الإصلاح لمرات متتالية، فإنه على ما يبدو لم يتم استخلاص ما يكفي من دروس وعبر لاعتمادها في التصدي لأسئلة الإصلاح بالصرامة والجدية المطلوبتين، مما يؤدي إلى مزيد من هدر الفرص ومراكمة الفشل واجترار الخيبات، وهذا ما لا يجب أن يقع فيه المشرفون على تطبيق المشروع الحالي وهو مشروع إصلاح وتطوير المنظومة التعليمية القرآنية الجزائرية.



استنتاج وتوصيات

١ - استنتاج :

إن قضية التجديد، والإصلاح، والنهوض والتنمية البشرية والحضارية التي تنشدها بعض المجتمعات المسلمة اليوم لتعاود من جديد الوصول إلى مقود قيادة البشرية وتحقيق سبق والتميز الفعلي والموضوعي في كل مناحي الحياة الروحية والمادية، تقف كلها على عتبة مدى النجاح في إعادة تشكيل عقل المسلم وتربيته وفق القيم والمبادئ القرآنية. ومن ثمة فالإصلاح التربوي للفرد، الذي يتقدم على كل الإصلاحات، يجب أن ينطلق من فهمنا، وتدبرنا واستيعابنا للقرآن الكريم، وأيضًا السعي الجاد إلى تجسيد تلك المعاني وإعمالها في مفردات الواقع اليومي في كل مناحي الحياة.

ولتحقيق ذلك يجب العمل على تطوير وتفعيل المنظومة القرآنية التي شكلت مؤسساتها المختلفة ولازالت الحصانة الروحية والدعامة الأساسية للفرد المسلم، وأيضًا هي خط الدفاع الأول عن هذا الكائن الحي، والمحافظ الأول على فطرته^(١).

(١) أحمد العمراني: الكتابات القرآنية...، مرجع سابق.

وحتى يتم التفعيل ويتحقق التطوير، لا بد أن تتكاتف وتتضافر جهود القائمين على التعليم القرآني ومؤسسات المجتمع المدني المهمة بتعليم القرآن الكريم ونشر علومه وذلك بإصلاح المنظومة القرآنية بما يراعي رؤية المصالح، تبيان المقاصد، استحضار ظروف العصر وفقه الواقع، وقبل ذلك السعي الجاد إلى توفير الظروف المادية، وأيضاً إلى اختيار المعلم الناجح الذي يجمع بين العلم والمنهج والحس التربوي والتفتح على علوم العصر وتقنياته، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار خصوصية التعليم القرآني، بمعنى تعليمه وفق مصطلحاته، لغته ومعانيه، ليكون تبياناً لكل شيء.

ويعود بالأساس سر استمرار الإقبال على المدارس القرآنية «إلى رغبة الآباء في تلقين أبنائهم المبادئ الدينية وتهذيبهم ووضعهم على طريق حفظ القرآن الكريم»، على الرغم من أن مستواها يتأرجح بين البساطة والكفاءة العالية، بحسب نوع البرامج المتبعة ومستوى التلاميذ وأعضاء الهيئة التعليمية من معلمين ومشرفين تربويين.

وإذا أردنا إنجاح إصلاحات المنظومة القرآنية فإنه يتعين العناية الكاملة بالمعلم القرآني من عدة جوانب وأخص بالذكر الجانب العلمي والمعرفي، وتكثيف الورشات العلمية والتربوية من أجل تحقيق توافق متكامل من أجل خدمة المعلم والمتعلم بالدرجة الأولى باعتبارهما محور العملية التعليمية.

وحتى لو تم رفع التحديات جميعها، ستظل المنظومة القرآنية تواجه تحدياً بارزاً الآن وفي المستقبل في الجزائر وفي عالمنا العربي

والإسلامي، ويتمثل في مدى قدرتها على رد الناس بوعي وعلم إلى منطلقهم السليم، منطلق ثقافة القرآن الكريم.

٢ - توصيات :

وفي ضوء ما سبق نقدم التوصيات التالية التي تمثل أهم ما توصلت إليه الدراسة :

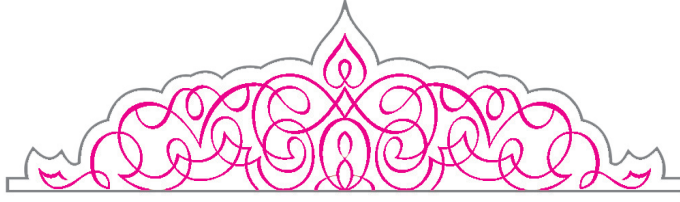
* أن يتم اختيار معلمي الكتاتيب والمدارس القرآنية اختياراً دقيقاً من بين من تتوفر فيهم الأهلية العلمية والخبرة البيداغوجية، ليكون عملهم أنجح وتأثيرهم أكبر.

* أن يأخذ في الحسبان أهمية الربط بين التربية والتعليم، كون عملية الربط هذه مبدأ تربوي أصيل في الإسلام وفي أركيلوجيا المناهج التربوية الإسلامية في مختلف العصور.

* إصلاح المنظومة القرآنية يجب أن يبنى على تصور يجمع بين التكوين الكمي والكيفي، كما يتطلب تحريك قوانين المنظومة القرآنية نحو الأفقية وليس نحو العمودية، نحو المرونة وليس نحو الصلابة، نحو الديناميكية وليس نحو الجمود، نحو الشراكة في اتخاذ القرار وليس نحو التفرد.

* أن يركز معلمو الكتاتيب والمدارس القرآنية على بلورة العقيدة الإيمانية الصحيحة وتعميقها في نفوس التلاميذ وجعلها المنطلق الذي تنطلق منه كل الأفكار والقيم والأساليب لتربية جيل صالح، متخلق ومؤمن بالله.

- * عقد دورات تدريبية لمعلمي الكتاتيب والمدارس القرآنية يحضرها ويؤطرها المتخصصون، وتكون تحت إشراف الوزارة المعنية.
- * إنشاء مجلس أعلى توجيهي للمنظومة القرآنية يضم متخصصين في مجال تعليمية القرآن الكريم، علوم القرآن والثقافة الإسلامية على غرار المجلس الأعلى للتربية.



قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١ - أحمد اتو مصطفى محمد: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية،
متوفر على الموقع الإلكتروني: [http://library.islamweb.net/newlibrary/
display_umma.php?lang](http://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang)

٢ - أجقو علي: «دور الكتابات القرآنية الحرة في الحفاظ على القرآن واللغة
العربية في الجزائر»، آفاق الثقافة والتراث، السنة الثالثة عشر، عدد
٤٩، فر ١٤٢٦هـ/ أبريل ٢٠٠٥.

٣ - بناتي عبد الكريم: الكتابات القرآنية بالمغرب: أسلوب ومنهج، متوفر
على الموقع الإلكتروني: <http://www.halqat.com/Article-263.html>

٤ - التجاني الطالب عبد الرحمن: الكتابات القرآنية بندرومة من ١٩٠٠ إلى
١٩٧٧، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٣.

٥ - تراري مختارية: «التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور
الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة»، إنسانيات، عدد ١٤ - ١٥
٢٠٠١، متوفر على الموقع الإلكتروني: <http://insaniyat.revues.org>

٦ - تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في
الجزائر، ط. ٣، الجزائر.

٧ - التوزري إبراهيم: تاريخ التربية، بتونس، الشركة الوطنية للنش، تونس،
(ب.ت)

- ٨ - الجمالي فضل: «دور التربية القرآنية في تغيير ما بالإنسان»، ملتقى القرآن الكريم المنظم في إطار ملتقى الفكر الإسلامي ١٥، الجزائر من ٢ إلى ٨ ذو القعدة ١٤٠١هـ، منشورات وزارة الشؤون الدينية، ج ٤.
- ٩ - الجمالي فضل: نحو تربية مؤمنة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٧٧.
- ١٠ - حجي محمد، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ط ٢، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨.
- ١١ - حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت ١٩٩٦، ج ٤.
- ١٢ - حوالف عكاشة: تعليم القرآن للطفل وأثره في بناء شخصيته، المؤتمر الثالث للقرآن الكريم التعليم القرآني للصغار واقع وآفاق قسنطينة ٢٠١٤.
- ١٣ - زائد مصطفى: المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة، مجلة الثقافة، العدد ٩٣، شعبان - رمضان ١٤٠٦/ ماي - جوان ١٩٨٦.
- ١٤ - ابن سحنون محمد: آداب المعلمين، تحقيق عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٢.
- ١٥ - السكرى عبد الكريم: تدرج المذاهب في التربية ونزعة سبنسر، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧.
- ١٦ - السيوطي عبد الرحمن: الجامع الصغير، مطبعة محمد مصطفى - مصر، ط ١، ١٩٣٨، ج ٣.
- ١٧ - عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٣٢.
- ١٨ - العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر، التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي - دراسة انثروبولوجية

، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة رقم ١٥،
٢٠١٢.

١٩ - العمراني أحمد: الكتابات القرآنية بالمغرب بين الموجود والمقصود
«سبل تطويرها مع الحفاظ على خصوصياتها»، متوفر على الموقع
الإلكتروني : <http://vb.tafsir.net> 09/10/1431-18/09/2010,

٢٠ - الكبيسي عبدالمجيد: منظومة التربية القرآنية (رؤية منهجية)، متوفر
على الموقع الإلكتروني : [http://popedu2010.blogspot.com/2013/07/blog-](http://popedu2010.blogspot.com/2013/07/blog-post.html)
post.html

٢١ - محرز نور الدين: تفعيل دور المدرسة القرآنية والرفع من
أدائها، الاثنين، ١٢ مارس ٢٠١٢، متوفر على الموقع الإلكتروني :
<http://www.veecos.net/portal/index.php?option=com>

٢٢ - المحمدي سعيد، تعريف المدرسة: الحلقة الأولى، متوفر على الموقع
الإلكتروني : <http://www.startimes.com>

٢٣ - المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،
الجزائر ١٩٨٤.

٢٤ - بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠، ج ١٤.
وما توفيقنا إلا بالله.